405

HARLEQUIN

روايات أحلام

في قلب النار

كاي ثورب

www.elromancia.com
مرمورية

في قلب النار

لم يكن لدى كارين فكرة . وهي تستيقظ في سرير في مستشفى "ريو" . عن سبب وجودها هنا .
و عندما قدم لويس أندراد نفسه بصفته زوجها تملكها الارتباك . ولكنها أصيبت بصدمة عندما قال إنها خانته مع شخص آخر!
أقنعها لويس بالعودة معه إلى البيت لتحاول استعادة ذاكرتها .
لكنها عندما اكتشفت المشاعر التي يخفق بها قلبها تجاهه .
لم تعد مقتنعة أنها يمكن أن تهجره من أجل شخص كـ "لويس فرناندیز" . فما الذي حدث وجعلها تبتعد عنه؟
وهل يخفي لويس عنها أسراراً أخطر!

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9963-15-373-5

كاي ثورب

ولدت في «شيفيلد» في العام ١٩٣٥، امتهنت أعمالاً متعددة بعد أن أنهت دراستها. بدأ تاليف الروايات بالنسبة إليها كهواية ثم أصبح نمط حياتها بعد أن تمت الموافقة على نشر روايتها الأولى سنة ١٩٦٨.

ألفت حتى الآن أكثر من ٥٠ رواية، وهي تعيش حالياً مع زوجها وابنها وكلبها وهرتها السوداء، في ضواحي «تشستر فيلد» في «دربيشاير». تتضمن هواياتها المطالعة والنزهات الطويلة والسفر.

١ - أين الحقيقة؟

أيقظ كارين من نومها الخالي من الأحلام صوت يناديها باسمها بإلحاح ولكن برقة. فتحت عينيها تحدق بحيرة، في الغرفة المشمسة غير المألوفة، فيما حاول ذهنها أن يعمل.

نظرت إلى اليد السمراء القوية التي تغطي يدها الملقاة على غطاء السرير، لترتفع ببطء إلى الذراع السمراء المفتولة العضلات ومن ثم إلى وجه الرجل الجالس على طرف السرير... كان وجهاً مليئاً بالرجولة والحيوية يعلوه شعر أسود جعد وقصير.

قال بإنكليزية جيدة إنما بلكنة ثقيلة: «إذن فقد عدت إلينا أخيراً».

نظرت إليه بارتباك وذهنها لا يزال مشوشاً: «لا أفهم. ماذا حدث؟ أين أنا؟».

- لقد صدمتك سيارة، وأصبت بارتجاج في المخ. أنت الآن في مستشفى في «ريو».

ازداد تشوّشها: «في «ريو»؟».

قطب جبينه: «في «ريو دي جانيزو» ألا تتذكرين؟».

حدقت إليه بحيرة وارتباك بالغين: «ريو دي جانيرو؟».

ولكن أليست هذه في البرازيل؟ أبعد بلد سافرت إليه هو إسبانيا!

وعادت تكرر بعجز: «لا أفهم. من أنت؟».

لم تحصل على جواب مباشر، وبدا الاضطراب على ذلك الوجه القوي. وعندما تكلم قال: «أنا زوجك لويس أندراد».

جمدت مكانها وقد اتسعت عيناها وأخذ عقلها يدور، ثم قالت:

«لست متزوجة. أي لعبة هي هذه؟».

وعندما حاولت أن تسحب يدها من تحت يده، زاد من الضغط عليها وهو يقول: «لقد شوّش الارتجاج ذهنك. استرخي الآن وستذكرين كل شيء لاحقاً».

- لا، لن يحدث هذا لأنه غير صحيح!

وحاولت أن تنهض فأجفلت للألم في رأسها، لكنها لم تشأ أن تدع الأمر عند هذا الحدّ، فقالت: «أنا كارين داونين، وأعيش في لندن. أنا لم أسافر قط في حياتي إلى «ريو دي جانيرو»، كما أنني غير متزوجة على الإطلاق... لا بك ولا بأي رجل آخر!».

- عليك ألاّ تثيري أعصابك بهذا الشكل!

ومدّ يده يدق جرساً بجانب السرير وقد بدا عليه القلق، ثم أردف: «سيعطيك الطبيب دواءً مهدئاً. وعندما تستيقظين ستتضح لك الأمور».

- كلا! هذا كله كذب!

وسحبت يدها من يده، وهي تبتعد عن هذا الغريب الذي وقف الآن مشرفاً عليها.

- ولماذا أكذب عليك؟ لماذا أدعي أنني زوجك إذا لم يكن هذا صحيحاً؟

- لا أدري. كل ما أعرفه هو أنني لم أرك قط في حياتي من قبل.

وفجأة، فتح الباب ودخلت ممرضة أخذت تنقل نظراتها بينهما وهي تقول شيئاً بلغة أجنبية غريبة بالنسبة لكارين، فيجيبها هذا الرجل الذي يدعي أنه زوجها، باللغة نفسها.

سألته وقد عادت إلى الثورة: «ماذا قلت لها؟».

- أن تحضر الطبيب إذ يبدو أنك مصابة بفقدان ذاكرة مؤقت.

- لا شيء مؤقت بالنسبة لهذا!

ونظرت إلى ثوب المستشفى الأبيض الفضفاض الذي ترتديه، ثم نظرت من حولها بعنف: «أين ثيابي؟».

- لقد رموا الثياب التي كنت ترتدينها ساعة الحادث، والأغراض الأخرى سيحضرونها لك عند خروجك من المستشفى.

صرخت به: «أريد أن أخرج الآن! لا يمكنك أن تبقيني هنا رغم إرادتي».

رفع كتفيه الجبارتين وسألها: «إلى أين تريدين الذهاب؟ أنت لا تعرفين أحداً في «ريو دي جانيرو». إصبري وكل شيء سيكون على ما يرام».

قال هذا وقد توتر فكّه. والتفتت عندما انفتح الباب مرة أخرى ليدخل الطبيب هذه المرة ويخاطبه باللغة نفسها التي استعملها مع الممرضة. كانت كارين تعلم أن البرتغالية هي اللغة المعتمدة في البرازيل. وشعرت بنفسها وكأنها تعيش كابوساً لا ينتهي.

وفجأة تلاشى انفعالها، وهدأت في الفراش غير قادرة على استجماع قواها، سواء العقلية منهاأو الجسدية لكي تحتج، عندما أخذ الطبيب يعد الإبرة ليحقنها بها. سيكون في النوم راحة لها من ذلك الغليان في رأسها.

* * *

فتحت عينيها مرة أخرى على ضوء المصباح الناعم، فتصورت نفسها، للحظة، آمنة في غرفتها وقد نامت وهي تقرأ كعادتها.

لكن هذه ليست غرفتها، ولم يكن هذا حلماً، والرجل نفسه يجلس بجانب سريرها.

- كيف حالك الآن؟

أجابت بصوت منخفض ممزق: «خائفة».

فقال بوجه جامد الملامح: «أتعرفينني؟».

هزت رأسها وقد منعها اضطرابها، من استعادة حيويتها ونشاطهابعد أن أدركت أن الكابوس لم ينته بعد.

- ما الذي تتذكرينه بالضبط.

- أنا كارين داونين، وعمري ثلاثة وعشرون عاماً. أعيش مع صديقة لي تعمل في الشركة نفسها في شقة في لندن. وقد قتل والداي في حادث طائرة منذ أربع سنوات.

هذه الذكرى وحدها كانت كافية لتبدّد تماسكها. وابتلعت غصة في حلقها وهي تتذكر عذاب تلك الأيام والأسابيع التي مرت عليها وهي تحاول أن تعتاد خسارتها.

فقال لويس: «هذا أعرفه. لكن يبدو أن عقلك أصبح صفحة بيضاء في ما يتعلق بالأشهر الثلاثة الأخيرة. إنها الأشهر الثلاثة التي أمضيتها هنا في البرازيل زوجة لي».

وسكت لحظة وكأنه يتمالك نفسه: «تعارفنا في الفندق الذي كنت تمضين فيه إجازة، وقد تزوجنا خلال أسبوع».

فانفجرت تقول: «هذا مستحيل. أنا أبداً لم...».

وسكتت وهي تعض على شفتها، إذ لم تستطع أن تتذكر كيف يمكنها أن تتأكد مما فعلته! ولكن... ثلاثة أشهر؟ ثلاثة أشهر مفقودة من حياتها؟ لم يبدُ لها هذا معقولاً!

فسألته مرغمة نفسها على التصرّف بهدوء: «وكيف جئت أنا إلى «ريو دي جانيرو»؟ ما كنت لأستطيع دفع تكاليف إجازة في البرازيل من راتبي.

- أخبرتني أنك ربحت مبلغاً في اليانصيب فقررت أن تري شيئاً من العالم خارج أوروبا، ما دامت الفرصة قد سنحت لك.

- وهكذا لم تتزوجني لأنني غنية؟

بدت شبه ابتسامة على فمه القوي: «جمالك هو الذي جذبني في البداية، ثم شخصيتك هي التي ملكت قلبي».

وقابل التعبير الذي بدا على وجهها بابتسامة أخرى جافة: «بدوت حينذاك بالشكل نفسه الذي يبدو عليك الآن حين كشفت لك عن مشاعري... وكأنك تشكين في قدرتك على جذب رجل إلى هذا

الحد. ولم تمنحيني ثقتك إلا بعد حين».

سرت السخونة في جسدها وهي تنظر إليه في بنطلونه الجينز الأبيض الذي يبرز ساقيه الطويلتين.

وتابع برقة: «كنت محظوظاً لأني من حرّك مشاعرك، وإلا لما تركتك تعودين إلى وطنك بسهولة».

لا بد أن هذا صحيح، كما أخذت كارين تفكر بيأس. وكما قال هو، ما السبب الذي يجعله يكذب؟ ليتها تستطيع فقط أن تجد منفذاً في هذا الدثار الذي يغطي ذاكرتها.

- هل قلت إننا تزوجنا بعد أسبوع من تعارفنا؟

- بعد خمسة أيام بالضبط. بالنسبة إليّ، كنت أفضل لو حدث ذلك بشكل أسرع. ولكن ثمه إجراءات ينبغي أن نتبعها. وهكذا سافرت إلى سان باولو في اليوم التالي لأعلم أسرتي.

قطبت جبينها تجاهد لتتذكر، لكن من دون جدوى. وسألته: «هل تعني أنني لم أعد إلى الوطن أبداً؟».

- بدا هذا غير ضروري حيث لم يكن لديك ما يستحق العودة من أجله. لقد اتصلت بصديقتك ومكان عملك فقط.

- وماذا عن أغراضي؟

- معظمها كان معك، والأغراض القليلة التي كنت حريصة عليها أرسلتها إليك صديقتك بالبريد.

استوعبت كارين هذه المعلومات بصمت، محاولة أن تتصور رد فعل جولي على هذا الخبر. وأخيراً قالت: «لا بد أن هذا شكّل صدمة كبرى بالنسبة إليها».

- هذا ما أتصوره. يمكنك أن تتصلي بها إذا شعرت أن الخاتم الذي تلبسينه ليس دليلاً كافياً.

رفعت كارين يدها ببطء لتحدق في المحبس الذهبي العريض، ثم هزت رأسها بجمود: «أنا أصدقك، عليّ أن أصدقك! لكن هذا

صعب للغاية».

- لا بد أنه كذلك.

والتوت شفتاه عندما أجفلت، ثم أردف: «لا تخافي! والعقاب هو آخر ما أفكر فيه».

انتقض قلبها: «العقاب؟ ولماذا؟».

بدا واضحاً من التعبير الذي ارتسم في العينين السوداوين أنه ندم على كلامه هذا، فقال: «ثمة أشياء من الأفضل أن تُترك في الوقت الحاضر. فالمشاكل هي حالياً أكثر من أن نضيف إليها المزيد».

فقالت وقد تملكها التوتر: «أريد أن أعرف ما عنيته بقولك ذاك. لديّ الحق في ذلك».

تردد قليلاً ثم قال باستسلام: «حسناً جداً، لقد جئت إلى «ريو دي جانيرو» بصحبة رجل يدعى «لوسيو فيرناندين» الذي يبدو أنك كنت على علاقة به. لقد تبعتك راجياً استعادتك، لكن الحادث حصل، قبل وصولي إلى المدينة. ولعل هذا من حسن حظنا إذ كنت سأقدم على الأرجح على عمل ليس في صالحنا، نحن الاثنين».

لم تجد كارين ما تقوله. علاقة؟ هل كانت على علاقة بأحد ما؟

وسألته بفتور: «هل أنت واثق مما تقول؟».

فأجاب بابتسامة ساخرة: «وما الذي جعلك تهربين معه غير ذلك؟».

- لا أدري.

ثم أضافت بشيء من الحيوية: «إذا كان هذا صحيحاً فما الذي جعلك تريد استعادتي؟».

- ما هو لي يبقى لي. كما لم يحدث، ولن يحدث أبداً، أيّ طلاق في أسرة أندراد، مهما كان الأمر.

شعرت كارين برجفة مفاجئة، فحاولت تمالك نفسها وسألته: «أين هو هذا المسمّى لويس فيرناندين؟».

- اختفى، كما يفعل أيّ جبان مثله. عندما وصلت إليك الإسعاف كنت وحدك.

- وصلت إليّ أين؟

- في شارع أمام المطار حيث صدمتكما سيارة. من حسن الحظ أن حقيبتك لم تُسرق أثناء سقوطك مغمى عليك. عندما عرفوا هويتك، وصلت الأخبار إلى بيتنا. بقيت مغمى عليك حوالى ساعتين، وخشي الأطباء عليك من تحطم في الجمجمة.

أخذت تفكر في كل ما حدث، وقد ازداد تشوّشها: «هل قلت إن الخبر وصل إليك عند الهبوط؟».

- خرجت في أثرك حالما عرفت برحيلك هذا الصباح. لقد أخذت جواز سفرك، فخطر لي أنك ستذهبين إلى المطار الدولي مباشرة لخوفك من الملاحقة وكنت أنا على حق. ومع الأسف، وصلت متأخراً فلم أمسك بك في «كونغونهاس»، فأخذت الطائرة التالية إلى «ريو دي جانيرو» بعد أن راجعت المسؤولين وعرفت أن «فيرناندين» كان على الطائرة نفسها هو أيضاً.

لم يكن هذا كافياً بالنسبة إليها، ولكن كل ما استطاعت أن تقوله هو: «أنا... آسفة».

أحنى رأسه وقال: «أنا من عليه أن يبدي أسفه. ما كان لي أن أحرمك كل هذا الآن».

ووقف فبدا جسمه أشبه بجسم فهدٍ ليونة ورشاقة.

- عليك أن ترتاحي. سأراك في الصباح.

سواء أكان غريباً عنها أم لا، فهي لم تشأ أن يرحل. يمكنها على الأقل، أن تطرح عليه الأسئلة التي تتزاحم في عقلها... آملة أن تتذكر شيئاً ما.

وقالت بلهجة يائسة: «لا أستطيع البقاء هنا».

فقال بلهجة قاطعة: «بل عليك أن تبقي. على الأقل حتى نتأكد من

أنك لا تعانين من شيء أخطر. لعل نوم ليلة يصلح حالك».

رأت أنه غير مقتنع بذلك كحالها. ومهما كان سبب فقدانها ذاكرتها، لا بد أنّ شفاءها سيستغرق أكثر من نوم ليلة. ولكن ليس عليها إلا أن تمتثل لما يقول.

لحسن الحظ، لم يحاول أن يلمسها بأي شكل، بل اكتفى برفع يده بالتحية. نظرت إليه وهو يسير نحو الباب، متأملة قامته من الكتفين حتى الوركين.

كانت قامته رائعة للغاية. لقد تزوجته وعاشرته معاشرة الزوجين الحميمة. فكيف يمكن لامرأة أن تنسى ذلك؟ كيف يمكن لأي امرأة أن تنساه؟

دخلت عليهاممرضة غير تلك التي رعتها أثناء وجوده، لكن اللطف هو نفسه. وقد ألحت كي تصحب كارين إلى الحمام لتساعدها.

خلف باب الحمام وجدت مرآة طويلة. الوجه الذي عكسته المرآة، بدا شاحباً، ما تناقض مع الرضوض القرمزية على الصدغ. العينان الخضراوان الواسعتان كانتا متورمتين أيضاً، كما بدا الفم الناعم الممتلىء الشفتين مسترخياً عاجزاً. لاحظت بعض الخدوش على خدها وذقنها، لكنها من السطحية بحيث لا يمكن أن تخلّف آثاراً أو ندوباً.

إذا لم يقنعها شيء بمرور الأيام، فقد أقنعها طول شعرها الذي زاد عما كان عليه كما تذكره آخر مرة.

بدا لويس في أوائل الثلاثينات، ومن النوع الذي يجذب النساء. واستطاعت أن تتصور تأثيره فيها من النظرة الأولى. تأثيره لا بد كان من العمق بحيث جعلها تتخلى عن كل ما تعرفه لتبقى معه.

وهذا ما جعل من الصعب عليها أن تصدق أنها أقامت علاقة مع رجل آخر خلال الأشهر الثلاثة التي أمضتها معه بصفتها زوجته.

طرقت الممرضة الباب وسألت: «هل أنت بخير؟».

فتمالكت كارين نفسها. لا فائدة من الوقوف هنا لمحاولة حلّ مشاكل لا تعرفها. كل ما ترجوه هو أن تتذكر الماضي كله في النهاية.

* * *

مكّنتها الحبوب المنوّمة من أن تنام جيداً، لكن الصباح لم يأتِ بجديد. استيقظت في الخامسة والنصف وجسدها لا يزال يفتقد إلى التوازن.

اغتسلت ولم يكن لديها زينة لوجهها... لم يكن لديها سوى ثوب فضفاض نظيف تركته لها الممرضة لكنها على الأقل شعرت بالانتعاش.

لم يكن لديها فكرة واضحة عما سيحصل. لم تتزوج رجلاً لا تتذكره وحسب، بل أن ثقته بها انهارت، كما يبدو. وحتى لو كان مستعداً لاسترجاعها، فهل تحتمل هي مرافقته؟

ومع ذلك، أي خيار آخر أمامها؟ فليس لديها مال أو عمل تعود إليه في إنكلترا، حتى لو وجدت وسيلة تعود بها إلى هناك!

عندما عادت إلى الغرفة أزاحت الستائر عن النافذة وأخذت تنظر إلى مشهد ناطحات السماء البيضاء والمروج الخضراء الممتدة إلى البحر الذي تحاكي زرقته زرقة السماء فوقه. ها هو جبل «شوكارنوف» المخروطي الشكل الذي عرفته من الصور التي رأتها. وأدركت كارين أن هذا المبنى هنا على سفوح التلال ليس مستشفى عادياً، وكان عليها أن تعلم ذلك من الأثاث والتجهيزات. بدا واضحاً أن لويس أندراد رجل غني.

نبذت فكرة أن لهذا صلة بزواجها السريع منه. فما دامت هذه الفكرة أصابتها بالغثيان الآن، لا بد أن تأثيرها كان هو نفسه حينذاك.

أحضرت الفطور ممرضة لا تحسن الإنكليزية، فتناولت كارين الفاكهة والرقائق المحمصة، بينما رأسها ما زال يدور.

جسدياً كانت قادرة على الخروج اليوم من المستشفى وبهذا سيتعين

عليها أن تعتاد على مأزقها.

لويس أندراد زوجها، وهذا كل ما ستتقبله. أما ما يهمها حالياً، فهو ما يتوقعه منها. لم يكن لديها فكرة عن حقوق المرأة هنا. كل ما تعرفه هو أنه قد يطالبها بحقوقه الزوجية، من دون اعتبار لحالتها. لقد بدا منه شيء من القسوة الليلة الماضية عندما تحدث عما كان يمكن أن يفعله بعشيقها لو أمسك به. ولم تستبعد أن تتعرض هي نفسها لنوع من العقاب قبل أن يعود بها إلى المكان الذي يعيشون فيه.

عندما حضر لويس، كانت في حالة تقارب الذعر. كان يرتدي القميص والبنطلون الجينز الأبيض نفسيهما وقد بدا أنهما غسلا وكويا.

قال رداً على سؤالها الصامت: «لم أحضر معي ملابس إذ لم يكن لدي وقت. فسهّل عليّ الفندق الذي أمضيت ليلتي فيه غسل ملابسي. كيف حالك اليوم؟».

ونظر إليها متفحصاً من دون أن تفصح عيناه عن أفكاره.

أجابت وهي تكافح ارتعاشها: «ذهنياً ما زال الوضع على حاله. أما جسدياً فلا أظن أني أعاني من أيّ إصابة خطرة».

فقال وهو يجلس على حافة السرير، ناظراً بعينين ضيقتين إلى حركاتها اللاإرادية: «يبدو وضعك طبيعياً تقريباً هذا الصباح، باستثناء الرضوض طبعاً. هل ما زال صداعك قوياً؟».

- فقط إذا حركت رأسي بحدة. سأشعر بتحسّن إذا ما حصلت على بعض أحمر الشفاه.

- لست بحاجة إلى أدوات تجميل لتحسين مظهرك. لون شعرك وحده يكفي.

- لقد غسلته. كان قذراً.

كانت متلهفة إلى إبقاء حديثهما سطحياً.

- هذا ليس غريباً بعد جرّك على التراب.

أزاح خصلة شعر مبتلة عن خدها ووضعها خلف أذنها، رافضاً هذه المرة أن يبعد يده حين أجفلت، وقال: «هل تكرهين لمستي إلى هذا الحد؟».

- إنها حركة آلية وليست موجّهة ضدك شخصياً.

- على أيّ حال، لم أجد منك ما يدل على أن اهتمامي بك مرغوب فيه. علاقتنا الحميمة في الليلة التي سبقت رحيلك كانت...

- لا تتكلم. ألا يمكننا أن نتحدث في مواضيع أخرى؟

ارتجفت وهي تتكلم وقد غمرتها موجة ساخنة ما يدل على أن جسدها يتذكر ما يرفض عقلها أن يتذكره.

قال بجفاء: «ما الذي تقترحين أن نتحدث عنه؟».

- بيتك؟

- تعنين بيتنا. البيت الذي سنعود إليه.

وانتقل من حافة السرير إلى كرسي بينما عاد وجهه إلى جموده: «تبعد «سان باولو» كيلومترات عدة، هي أكبر مدينة في البرازيل. والمنطقة هي الأغنى في البلاد. «كوافادا» هي مزرعة أبقار تقع شمال غرب المدينة».

ما قاله لم يعن شيئاً بالنسبة إليها، مزرعة أبقار!

- وهل أنت مدير أم شيء كهذا؟

وعندما همّ بالجواب انفتح الباب ودخل الطبيب نفسه الذي رأته الليلة الماضية.

تقدّم الطبيب من كارين يفحص الرضّة في صدغها، ثم فحص عينيها، قبل أن يعلن رضاه عن حالتها، قائلاً: «أنت محظوظة لأن الإصابة لم تكن أسوأ».

فردت بحدة: «لا أرى فقدان الذاكرة أمراً بسيطاً. هل لديك فكرة كم سيدوم؟».

تردد الطبيب، ثم قال: «قد تعود إليك ذاكرتك في أي وقت.

عليك بالصبر وحاولي ألاّ تقلقي بهذا الشأن».

فكرت كارين في سهولة هذا القول. وكيف لا تقلق بهذا الشأن؟

سار لويس إلى الباب مع الطبيب الذي قال إن بإمكانها أن تغادر المستشفى. وعندما عاد إليها، قال: «سيُحضرون لك حقيبة ملابسك لتختاري منها ما تلبسينه. هل تحتاجين إلى من يساعدك ؟».

- كلا.

جاء هذا النفي بحدة أكبر مما قصدت ما جعله يبتسم ابتسامة ساخرة أخرى.

- قصدت أن تساعدك ممرضة وليس أنا.

- آسفة. أنا لا أقصد إظهار عدم الثقة بك.

فسألها بلطف: «حقاً؟ أيمكنك أن تدّعي أنك تصدّقين كل كلمة قلتها؟».

- عليّ أن أصدقك. ليس أمامي أيّ خيار آخر.

- نعم، هذا صحيح. كما أن ليس لدي أنا أي خيار آخر.

وخرج قبل أن تستجمع كارين قواها لمتابعة الجدل. ستذهب معه لأن ليس لديها مكان آخر تقصده. في الواقع، عليها أن تكتشف المزيد. لكن ماذا؟

لم تعرف الحقيبة الجلدية التي سُلّمت إليها بعد لحظات، مع حقيبة يد جلديةأخرى. بحثت بسرعة في حقيبة اليد فوجدت جواز سفر يحمل شهرتها بعد الزواج، مع محفظة تحتوي على رزمة من الأوراق النقدية الأجنبية.

لم يكن لديها فكرة عن قيمة هذه الأوراق، لكن هذا لا يشكل فرقاً حالياً. أما ما أثار تساؤلها فهو نوع الخطة التي يُفترض أنها والمدعو لويس فرناندیز قد وضعاها. لكنها لم تجد في حقيبة اليد تلك ما يجيب عن هذا السؤال. فتحت حقيبة الثياب فصدمها منظر الملابس المكوّمة داخلها، التي بدت وكأنها وضعت على عجل، ما يوحي بأن

القرار اتُخذ قبل دقائق من تنفيذه وليس بناء على خطة سابقة. وجدت وسط كل هذه الملابس صورة مؤطرة شعرت بغصة لرؤيتها. كانت الصورة قد التقطت أثناء إجازة قبل أشهر من مقتل والديها. كانا يضحكان معاً، حاملين السمكة الصغيرة التي اصطادتهاأمها من النهر الذي يجري خلفهما. كانا زوجين وسيمين يملكان كل ما يمكن أن يعيش الإنسان من أجله.

استنتجت كارين أن صديقتها جولي أرسلت لها من دون شك أغراضها الأخرى التي طلبتها منها. وغالبت دموعها، فهذه الصورة آخر ما تفكر في تركه خلفها.

اختارت ملابس داخلية من الدانتيل وتنورة بيضاء وقميص من دون كمين. لم تتذكر أنها رأت هذه الملابس من قبل أو هذا الحذاء العالي الكعبين. لم تكن قصيرة أبداً، لكنها أرادت أن تتشجع لتواجه رجلاً يفوق طوله المئة وتسعين سنتيمتراً.

وجدت في جيب حقيبة اليد أحمر شفاه ذا لون وردي باهت، وقلم كحل رمادي وماسكارا. لم تتعجّب لذلك فهي غير معتادة على الإكثار من الزينة على وجهها. وهكذا وضعت لمسة من أحمر الشفاه على شفتيها ثم سرّحت شعرها. الرضّة في الصدغ بدت أسوأ مما كانت عليه الليلة الفائتة، وكذلك الخدوش على وجنتيها وفكّها. لكن لديها الآن ما هو أهم من مظهرها لتفكر فيه.

آخر ما تتذكره هو أنها حضرت حفلة أقيمت لتوديع زميل لها ليترك العمل، تبعها عشاء في الخارج مع مجموعة من الأصدقاء. وعندما عادت إلى بيتها لم تجد جولي فحضّرت شراباً ساخناً وذهبت مباشرة إلى سريرها.

حدث هذا كله في الثاني عشر من أيلول، أي أمس الأول، بحسب ما يتذكر عقلها. لكن لويس يقول إنهما تزوجا منذ ثلاثة أشهر، وإن كان هذا لا يعطيها فكرة عن تاريخ اليوم.

لكنه أجاب عن هذا السؤال بعد عودته بقوله: «اليوم هو السابع والعشرين من كانون الثاني. لقد تجاوزنا منتصف الصيف، والحرارة على الهضاب أخف منها على الساحل. الجوّ حار في هذا الوقت من السنة، إلا أن الرطوبة منخفضة، كما أن الليالي باردة منعشة».

- يبدو هذا حسناً.

حاولت كارين جهدها لكي تضبط مشاعرها.

تقدم لويس ليقفل الحقيبة التي تركتها مفتوحة على السرير، ثم رفعها بسهولة وهو يقول: «سيارة الأجرة تنتظرنا لتأخذنا إلى الفندق».

- الفندق؟

- أظن أنّ من الأفضل أن نبقى معاً فترة قبل العودة إلى «غواڤادا». لدينا الكثير لنتحدث عنه على انفراد.

أرغمت كارين نفسها على التحرك، كارهة أن تفارق هذا القليل من الأمان الذي بدأت تشعر به. فتح لويس لها الباب ثم سار بجانبها على طول الممر الجميل متوجهين نحو المصاعد.

كان المصعد خالياً، فصعدا إليه ووقفا صامتين حتى وصلا إلى ردهة واسعة حيث ودعتهما موظفة الإستقبال بابتسامة معبرة.

مع أن الوقت لم يتجاوز التاسعة والنصف، إلا أن الحرارة في الخارج كانت مرتفعة، وسرّها أن تكون في سيارة أجرة تحتوي على مكيّف هواء. جلس لويس بجانبها وعضلاته الصلبة ظاهرة.

تصورته رائعاً من دون ملابس، وتملكتها حرارة مفاجئة. لا بدّ أنها رأته بهذا الشكل ما داماقد تزوجا. وتساءلت كيف أمكنها، وهي العديمة الخبرة، أن ترضي رجلاً محنكاً بكل تأكيد.

سارت بهما السيارة في المدينة التي عجّت بالحركة والنشاط، وتوجهت إلى فندق فخم يشرف على شاطىء أبيض هلالي الشكل يعج بالناس.

سألته وهي تنظر من النافذة: «أتظنها ستمطر؟ الصيف هو فصل

الأمطار هنا، أليس كذلك»؟

فأجاب وهو ينظر إليها من طرف الغرفة الرائعة: «نعم. أنت تتذكرين هذا إذن؟».

- ليس كما تظن. لعلي قرأت ذلك في مكان ما.

- المنظر الخارجي لا يعني لك شيئاً إذن.

قطبت جبينها: «رأيته في الأفلام».

- إلا يعني لك أكثر من ذلك؟

- لا. ماذا قد يعني غير ذلك؟

وأخذ قلبها يخفق، فقال: «إنه المشهد الذي كنت ترينه من غرفتك في هذا الفندق منذ ثلاثة أشهر. هذه ليست الغرفة نفسها لكنها نسخة طبق الأصل عنها. ظننت أنها قد تنعش ذاكرتك».

فقالت بفتور: «هذا لم يحصل. لا بد أنني ربحت مبلغاً كبيراً في اليانصيب لأتمكّن من الإقامة في فندق كهذا».

- أعتقد أنه آلاف الجنيهات. كانت فرصة كي تري كيف يعيش الجزء الآخر من الناس. من المؤكد أنه لم يبق من المبلغ سوى القليل لتأخذيه معك إلى الوطن.

- لكني وجدت زوجاً يمكنه أن يقيم في أماكن كهذه.

وبدرت منها إشارة اشمئزاز من نفسها قبل أن تردف: «هل لك أن تنسى أنني قلت شيئاً كهذا؟».

فأمال رأسه: «لقد نسيته».

بعد أن رأت التعبير الذي ارتسم على وجهه، تملكها الشك في كلامه هذا. إذا شاءت أن تنفّره منها أكثر من نفوره الحالي، فهي تسير في الطريق الصحيح.

كان يتكىء على خزانة صغيرة في الناحية البعيدة لسرير كبير الحجم. وكانت ممتنة لوجود سريرين، فالتفكير في مشاركته الغرفة وحده مثبط للهمة.

قال قارئاً أفكارها بسهولة وجدها مربكة: «حجزت الغرفة المجاورة. لن أرغمك على شيء تأباه نفسك».

- آسفة، هذا لا يعني أنني أراك... غير جذاب.

لم تعرف ما تقوله غير هذا. فقال بجفاء: «هذه بداية، على الأقل. الصبر ليس من فضائلي، لكن يبدو أن عليّ اعتماده. لعل رؤية بيتنا ستساعد على استعادتك للذاكرة.

- ربما.

وترددت لا تريد أن تلفت انتباهه إلى الفكرة التي خطرت لها، لكنها أرادت أن تتأكد: «لا أراك تظنني أدّعي فقدان الذاكرة، أليس كذلك؟».

تغيرت ملامحه بشكل غامض.

- ما الذي قد يجعلك تفعلين ذلك؟

- ربما الخوف من العقوبة.

- هل تظنين أني أضرب زوجتي؟

بدأت تندم على ما قالته: «لا أدري ماذا يمكنك أن تفعل. على أيّ حال هذا غير صحيح فلو كنت قادرة على تمثيل دور كهذا، لعملت في المسرح!».

- أعتقد أن عليك أن تفعلي. مرّت لحظات في علاقتنا أرهقتني فيها للغاية.

نظرت إليه لحظة بصمت: «هل كنا نتشاجر؟».

- كان بيننا بعض الاختلاف في الآراء. أنت شابة صلبة الإرادة.

- نساء بلادي كلهن صلبات الإرادة.

- النساء البرازيليات أيضاً، لكنهن أكثر رقة في إظهار ذلك.

وصمت للحظة لكن التغيير في لهجته بدا جلياً: «علينا أن نضع هذا وراءنا، ونبدأ من جديد».

وعندما همّت بالكلام منعها بإشارة من يده: «سأرتب أمر استئجار

سيارة وأريك معالم المدينة... كما فعلت عند بداية تعارفنا. لعل هذا سيساعدك على التذكر».

وانتصب واقفاً واتجه إلى الباب: «انزلي إلى الردهة بعد نصف ساعة».

بقيت واقفة مكانها للحظات بعد خروجه، وهي تتذكر كل ما قيل. ما زال هناك أسئلة كثيرة من دون جواب. لكن هل ما أخبرها به هو الحقيقة؟ لماذا شعرت إذن بالحاجة إلى اللجوء إلى رجل آخر؟!

www.elromancia.com

٢ - ويبقى الأمل

كانت سيارة الليموزين التي استأجرها لويس في انتظارهما في الخارج، ففتح لكارين الباب الأمامي ثم استدار ليستلم القيادة.

كان قد أراها معالم المدينة بهذه الطريقة حين تقابلا للمرة الأولى، هذا ما قاله لها في الفندق. وإذا فشل الفندق نفسه، والمشهد الذي تطل عليه غرفتها في جعلها تستعيد ذاكرتها، فمن المستبعد أن ينجح في هذا الآن. لكن الأمر يستحق التجربة!

توجها نحو الجبال، مخلفين المدينة وراءهما، تاركين الشوارع المزدحمة ليدخلا عالم الغابات الاستوائية حيث النباتات المتسلقة تتدلى كالثعابين من أغصان الأشجار المغطاة بالطحالب. كانت أشعة الشمس تتسرب من بين الأغصان المتشابكة فيما انتشرت الأزهار ذات الألوان المتألقة كالجواهر بين النباتات.

تملّك كارين الذهول، ولم تستطع أن تصدق أنهما ما زالا في المدينة. هتفت وهي ترى أجمة من أزهار «البغونيا» الاستوائية وقد غطى براعمها الصفراء النحل: «وكأننا في كوكب آخر! ما كل هذه الضجة؟».

- إنها القرود، فقد غزونا مكانها. هذه حديقة «ريو» الوطنية ومساحتها أكثر من مئة ميل مربع.

- إنها رائعة!

ألقى نظرة على وجهها المنفعل: «ولكن ألا ترينه مألوفاً؟».

- لا. لم أرَ شيئاً كهذا من قبل... على حد علمي.

أضافت الكلمات الأخيرة، عندما عادت الحقيقة تطل برأسها، فيما تبددت حماستها، فعادت تستند إلى الخلف وتغمض عينيها: «أشعر وكأنني أعيش حياة امرأة أخرى».

- أطمئنك إلى أن هذا غير صحيح. ستستعيدين ذاكرتك عندما تصبحين مستعدة للذلك.

اختلست نظرة إلى وجهه الصلب، وقد اكتسحتها تلك الحرارة الممزوجة بالتوتر التي أصبحت مألوفة لديها: «وماذا لو لم يحصل هذا أبداً؟».

توتر فكه وهو يجيب: «عندئذ، سنتقبل الأمور كما هي، ثم نعيش حياتنا تبعاً لذلك».

- لست واثقة من أنني سأتقبّل لذلك.

رأت فكه يعود إلى التوتر: «لا سبيل آخر لك».

بدا واضحاً أنّ أي اعتراض جديد من جانبها ما هو إلا مضيعة للوقت. وأنه مهما يكن ما فعلته، فهي زوجته وستبقى كذلك.

كانت قمة جبل «كوركوفادو» التي يعلوها تمثال أبيض للمسيح، تشرف على المدينة والساحل معاً. بدت ناطحات السحاب في الأسفل كاللعب، والشاطئان كهلالين والناس كالنمل. أثار فيها هذا المشهد بهجة عارمة، فقال وهو ينظر إلى وجهها: «تأثرك هذا يماثل تأثرك عندما رأيت هذا المشهد لأول مرة. كحالك في كل مرة وفي كل شيء».

-ومعك أنت أيضاً؟

- نعم، هذا صحيح، كما أردتك أن تكوني.

- هل تمنعّت؟

فرفع حاجبيه: «تمنعّت؟».

- أعني قبل أن أوافق على الخروج معك.

صمت لحظة قبل أن يجيب ساخراً: «هل يهمك أن تعرفي هذا؟».

- نعم. أنا بحاجة لأن أعرف.

- لقد خرجنا معاً في ليلة تعارفنا.

ابتلعت ريقها: «لا بد أنك اعتبرتني أسهل غزوة في حياتك».

- لم يخطر في بالي أمر كهذا. لقد اعترتنا المشاعر نفسها.

لم تستطع أن تواجه نظراته وهي تسأله: «لو وجدت أني صاحبة خبرة سابقة، فهل كنت لتتزوجني؟».

- نعم. كنت لأفعل.

نظرت كارين إليه، فرأته غافلاً عن المارة وقد وضع ذراعه على الحافة، ورفع وجهه إلى السماء. بدا عليه الارتياح التام بحيث أثار حسدها، وشعرت بحاجة مفاجئة إلى تعكير هدوء باله هذا.

قالت له بشكل متعمّد: «أخبرني عن لوسيو فرنانديز، من هو بالضبط؟».

فتصلبت ملامحه: «أفضل عدم التحدّث عنه».

- بل علينا أن نتحدث عنه.

ابتعد عن الحافة وأخذ يحدق إليها بصمت ثم قال بصوت متزن: «لا أستطيع أن أخبرك الكثير عنه. كان يعمل لدى أحد مسؤولي العمّال عندي. لو كان لدي أي فكرة...».

وسكت فجأة ثم صرف بأسنانه: «يكفي أن أقول لجعلته في حالة غير صالحة لإثارة اهتمام أي امرأة».

شعرت كارين بضيق في صدرها. إن لويس أندراد رجل معتدّ بنفسه، وهذا لا يخفى على أحد. ولا بد أنّ اكتشافه أنّ زوجته على علاقة بشخص آخر، شكل ضربة قاسية له، فكيف إذا كانت على علاقة بمستخدم؟

فقالت تدافع عن نفسها: «ما زلت غير مقتنعة بأن هذه هي الحقيقة. ما هو برهانك على وجود أي علاقة؟».

لمعت عيناه: «وهل أحتاج إلى أكثر من أنك أعددت نفسك للهرب

معه؟».

- ألا يُفترض أن يكون هناك إشارات سابقة؟

- يبدو أنه كان هناك دلائل، لو شئت أن أراها. لقد اشتبهت بياتريس بالأمر لكنها لم...

رفعت كارين يدها إلى صدغها في حركة لا إرادية بعد أن أحسّت بالصداع للحظة. شعرت بطنين غريب في أذنيها، وبأنها جذبت إلى مكان لم تشأ الذهاب إليه.

أمسك لويس بها بسرعة بعد أن رآها ترنح. طوّقها بذراعيه وضمها إليه فشعرت بحرارة جسمه وبخفقات قلبه على صدرها. وأخيراً قالت: «أنا بخير الآن. إنه مجرد دوار طفيف».

وعندما ابتعدت عنه، تركها من دون اعتراض وهو يقول: «كان عليّ أن أرفض مناقشة هذا الموضوع، فهذا ليس المكان المناسب لذلك».

رفعت رأسها لتدع النسيم يبرد وجنتيها، ووضعت يديها على الحافة لتثبت نفسها.

- من هي بياتريس؟

- قلت لك إن هذا ليس بالمكان المناسب. سنعود إلى الفندق.

لم تعترض. يبدو أنّ هذا الاسم يعني لها شيئاً ما. ولكنها لم تجد أيّ ثغرة في الستارة المسدلة على ذاكرتها.

كان الوقت أواخر العصر عندما وصلا إلى الفندق. ورضي لويس من دون اعتراض، أن ترتاح كارين قبل تناول الطعام.

كان الاستحمام من أولوياتها عندما وصلت إلى غرفتها واستمتعت به لدقائق.

بعدئذ، لفت جسمها بمنشفة وعادت إلى غرفتها لتخرج ملابسها من الحقيبة. لم تجد فائدة من إخراج الملابس وتعليقها إذ لم تكن تعلم كم من الوقت سيبقيان في الفندق.

خفق قلبها بسرعة حين فكرت في ما ستواجهه عندما يعودان إلى المزرعة. فمهما كانت رغبتها في عدم التصديق شديدة، تبقى كافة الأدلة تشير إلى أنها كانت لها علاقة برجل آخر.

وتساءلت أين كانت لتصبح الآن لو لم تتعرض لحادث؟ أي نوع من الحياة كانت ستعيشها مع رجل يمكنه أن يتركها ملقاة على الطريق مغمى عليها؟ وكيف أمكنها أن تنجذب إلى رجل آخر بينما هي متزوجة من رجل مثل لويس أندراد؟. إلا إذا كان ما يظهر من لويس مخالفاً لحقيقته، كيف يمكنها أن تتأكد من طبيعة علاقتهما الزوجية؟

كانا يتشاجران، هذا كل ما اعترف به. ولم يكن بينهما خلاف حقيقي، بحسب أقواله

تركها وحدها حتى الثامنة فبدأت تتساءل عما إذا هجرها. وعندما جاء كان يرتدي بذلة من الكتان مفصلة على مقاسه.

قال: «شعرت أنني بحاجة إلى ملابس جديدة. هل ارتحت جيداً؟».

ونظر بإعجاب إلى جسمها الرشيق في اللباس الليلكي الحريري الذي اختارته من حقيبة ملابسها، فحولت وجهها غير قادرة على احتمال نظراته مطولاً: «قدر الإمكان. ماذا سنفعل الآن؟»

- سنتناول العشاء في الفندق، إذا كررنا تفاصيل إقامتنا هنا قدر الإمكان فقد يحرك هذا شيئاً في ذاكرتك.

سألت بعد لحظة: «كافة التفاصيل؟».

- قلت قدر الإمكان. أنا لا أفرض عليك شيئاً.

تمتمت: «حالياً».

وسمعته يتنفس بعنف: «أتظنين أنه من السهل علي أن أطرد من ذهني صورتك مع فرناندیز. كلما أغمضت عيني أراك بين ذراعيه».

نظرت كارين إليه فرأت الغضب على ملامحه. وقالت بتعاسة: «آسفة. أتظن أنك ستتمكّن لاحقاً من أن تطرد هذه الصورة من

ذهنك؟».

- إذا لم أستطع، فعليّ أن أتعوّد العيش معها. أما الزواج فلن يُفسخ.

لم تجد ما تقوله، فما من كلام ينفع في هذا الوضع. لكن ما زال هناك الكثير مما تريد أن تعرفه.

- ذكرت هذا الصباح امرأة تدعى بياتريس. فمن هي؟

التمعت عيناه السوداوان: «إنها زوجة أخي ريموندو».

لم يعن لها الاسم شيئاً: «هل يعمل في المزرعة هو أيضاً؟».

جاءها جوابه غامضاً: «هو وزوجته يعيشان هناك. وأختي الصغرى أيضاً. لقد دمّر رحيلك ريجينا».

جلست كارين بعد أن لم تعد ساقاها قادرتين على حملها. كم من الناس عليها أن تواجه عند عودتها إلى البيت الذي هربت منه؟

سألته: «كم يبلغ عمر ريجينا؟».

- ثمانية عشر عاماً.

- وريموندو؟

- ثمانية وعشرون. إنه أصغر مني بأربع سنوات. كان لدينا أخ آخر لكنه مات منذ سنتين.

تملكها التأثر بسرعة، إذ تذكرت خسارتها لأبويها. فقالت: «أنا آسفة».

- أنت لم تعرفيه قط.

سألته: «وماذا عن والديك؟».

- توفي أبي منذ سنوات، وتزوجت أمي مرة أخرى وهي تعيش الآن في مدينة «برازيليا».

- هل تقابلنا نحن الاثنتين؟

- مرة واحدة فقط عندما أخذتك لزيارتها.

- هل كانت موافقة؟ أعني على زواجنا؟

فأجاب بجمود: «لا. كانت تفضل أن أتزوج امرأة من قومي».

- هذا مفهوم.

- لا مزيد من الأسئلة الآن. أنت بحاجة إلى أن تأكلي.

كان الطعام أبعد ما يكون عن ذهنها، لكنها نهضت. سيحرجها مظهرها هذا وهي تدخل المطعم. هذا ما خطر لها وهي تنظر إلى نفسها في مرآة على الجدار، لكن لم يكن في يدها حيلة.

بعث الضوء الخافت في المطعم بعض الراحة في نفسها، لكنها لم تر شيئاً مألوفاً في ما يحيط بها. في الحقيقة لم تكن تتوقع ذلك. وتركت لويس يختار لها وجبتها، أكلة ما وجدته أمامها من دون استمتاع.

ألقت نظرة على الرجل الجالس أمامها، الذي حركت رجولته السمراء حواسها، وقالت: «هذا لن ينجح، لن ينجح شيء على ما أظن».

فقال: «لن نخسر شيئاً إذا جربنا. سنذهب من هنا إلى نادٍ ليلي ومن ثم نعود إلى الفندق».

شعرت كارين بتسارع مفاجىء في النبض في عند صدغها وفي قلبها. وحاولت عبثاً أن تتمسك بالصورة التي اختفت من ذهنها بسرعة.

سألها بصوت منخفض عامر باللهفة: «ماذا جرى؟ هل تذكرت شيئاً؟».

هزت رأسها ببطء: «مجرد شعور للحظة. ما من شيء متماسك».

- لكنه عنى لك شيئاً ما، كان هذا واضحاً.

- هذا ما يبدو.

وتفحصت الملامح المليئة بالحيوية، متمنية لو تعرف ما يفكر فيه في هذه اللحظة، ثم سألته: «هل يعلم الجميع بأمر لوسيو فيرناندیز؟».

لمعت عيناه لحظة: «بياتريس هي الوحيدة التي تعلم».

- هل تثق بأنها ستحفظ السر؟

- من الأفضل لها أن تفعل. ريجينا تعتقد أنك رحلت لمجرد خلاف بيننا، وسيكون صعباً عليها جداً أن تتقبّل فقدانك لذاكرتك.

ليس كما تستصعب الأمر هي نفسها. قد لا يكون التذكر أمراً مستساغاً أحياناً، لكنه يبقى أفضل من هذا الظلام.

- يمكننا أن نبقي الأمر سراً.

رأت شفتيه تتوتران وهو يقول: «أهذا وضع يمكن التعامل معه بلامبالاة؟».

فأجابت معتذرة: «طبعاً لا. لكن...».

ابتلعت ريقها بصعوبة: «هل لديك فكرة عن شعوري وأنا أستمع إليك تحدثني عن أناس وأماكن وأمور ليس لدي فكرة عنها على الإطلاق؟ المرأة التي يبدو أنني أصبحتها لا علاقة لها بالمرأة التي أعتقد أنني هي، وكأنني أنظر في مرآة تعكس لي صورة امرأة أخرى».

- هذا صعب بالنسبة إلينا، نحن الاثنين. أن ترى نفسك مخدوعاً أمر صعب، لكن أن تجد نفسك منسياً...!

وسكت ليرفع يده مشيراً إلى النادل. حتى الساعة، كانت كارين من الانشغال بمشاعرها بحيث لم تنتبه جدياً إلى ما لا بد أنه يعانيه.

حاولت أن تضع نفسها مكانه، أن تتصور شعورها إذا ما علمت أنها محيت من ذهنه تماماً بعد أشهر من العيش معاً كزوجين؟ أي رجل يستطيع أن يواجه هذا بهدوء؟

نظرت إليه وهو يوقّع على ورقة الحساب. هاتان اليدان تعرفان من دون شك كل إنش من جسمها. وأرسلت هذه الفكرة قشعريرة في ظهرها. الأشهر الثلاثة تلك، محت كل عائق أو كبت كانت تعاني منه، ودليلها على ذلك رد فعل جسدها في هذه اللحظة. لعلها لا تتذكر حبها لهذا الرجل، لكنها انجذبت إليه الآن بشكل خطر. ومهما يكن ما دفعها إلى الارتماء بين ذراعي رجل آخر، إلاّ أنه يعني أن

لويس لم يعد يثيرها.

عندما ابتعد النادل حاولت أن تتمالك نفسها كي تواجه عينيه اللتين ارتفعتا إليها. سألته: «ماذا الآن؟».

- كما قلت من قبل، سنكرر الأحداث.

- أتظن حقاً أن هذا سينفع؟

قال وهو يقف ويساعدها على الوقوف: «علينا أن نجرّب كل ما يمكن أن يحرك ذاكرتك. ما زال الليل في أوله».

كانت الساعة العاشرة، كما رأت في ساعته الذهبية. إنه وسيم، وحساس، و يبدو أنه لا يفتقر إلى المال! يمكن القول إن لويس أندراد يملك كل ما ترغب فيه المرأة، لكنها تركته من أجل رجل هو من عدم الاتزان والضعف بحيث تركها في الطريق. كان هذا غير معقول!.

استقلا سيارة أجرة إلى ما بدا للوهلة الأولى مسكناً كبيراً خاصاً. قدّم لويس بطاقة تعريف عند المدخل فأشير إليهما بالدخول حيث أخذا يجولان في غرف تحتوي مختلف أنواع التسلية.

تجاهل لويس الكازينو المزدحم، وسار إلى غرفة خفيفة الإضاءة حيث كان الراقصون يتنقلون على إيقاع موسيقى فرقة صغيرة ممتازة. وجرّها إلى باحة الرقص حيث أخذها بين ذراعيه.

ضمها إلى جسده الصلب بينما ركزّت هي على اتباع خطواته. شعرت بيديه دافئتين على ظهرها، وبأنفاسه تحرك الشعر على صدغها فيما داعبت رائحته الرجولية أنفها.

حدثت نفسها بأن هذه الأحاسيس من الحاضر وليس من الماضي، فلويس رجل تتأثر به أي امرأة لديها مشاعر. ربما إذا وصلا إلى مرحلة من الحميمية...

رفضت هذه الفكرة على الفور، فحتى لو أقنعت نفسها بتجربة هذا الحل لن يقبل لويس والصور التي تحدث عنها، تشغل ذهنه.

لقد تبعها إلى العاصمة لكي يعيدها إلى بيته لأن كبرياءه لا تسمح

بغير ذلك، لكن هذا لا يعني أنه مستعد لمسامحتها على الفور.

سألت: «هل كان ذلك لينجح إن لم أفقد ذاكرتي؟ أعني إرغامي على الرجوع معك؟».

مضت لحظات قبل أن يجيب بجمود: «سيكون من الصعب عليّ أن أنسى ما فعلته، فالثقة لا يمكن استعادتها بسهولة».

- لكنك مع ذلك ترفض إنهاء الزواج؟

- نعم. الزواج، في نظري، هو للعمر كله. ولهذا السبب انتظرت طويلاً لكي أجد المرأة التي يمكن أن أشاركها الحياة.

فقالت بصوت أبح: «لكنها خذلتك. لا يمكنني أن أصف لك مدى فظاعة شعوري حين أفكر أني قادرة على التصرف بهذه الطريقة. ما زلت لا أصدق ذلك عن نفسي».

فقال: «بل هذا صحيح. لكن غلطتك هي اختيار رجل بلغ من قلة الاهتمام بك بحيث تركك مرمية على التراب».

تجاوزت ألمها بقدر إمكانها: «ما يصعب تفسيره هو كيف يترك رجل كهذا وظيفة جيدة».

أطلق لويس ضحكة قصيرة: «تركها خوفاً مما سيحدث عندما أكتشف العلاقة بينكما».

- على أيّ حال، لماذا غامر منذ البداية؟

ضحك مرة أخرى: «أنت تظلمين نفسك. قليل من الرجال يمكنهم مقاومة جمالك. كنت عذراء عندما تزوجتك ولم يكن لديك أيّ خبرة. لم أحاول إغرائك لتستلمي لي».

- ولماذا لم تفعل؟

فأجاب برقة: «لأنني أردت أكثر من جسدك. أردت كل ما فيك».

توقف ذهنها عن التفكير، وشعرت بالحرارة تكتسحها، وبالوهن يصيب أطرافها، واقتراب جسدها منه غريزياً ليضغط على جسده الصلب.

فقال بخشونة: «كفي عن هذا!».

أجفلت وهي تعود إلى الواقع البشع، والتهب وجهها وهي ترفع بصرها إلى عينيه السوداوين المتألقتين، لتقول متلعثمة: «لم أكن أقصد. حدث هذا... من دون تفكير».

لوى شفتيه: «كما حدث مع فرناندیز؟».

فقالت بتعاسة: «وما أدراني؟ كيف أتأكد من كل هذا؟ ما أعرفه هو ما تخبرني أنت به!».

توقف لويس عن الرقص وسألها وقد التمعت عيناه: «هل تتهمينني بالكذب؟».

- كلا، أبداً. لكن إذا لم يكن لدى هذا المدعو لوسيو فرناندیز ما يكفي من المال، فما حدث صعب التصديق، لأن النقود التي معي ما كانت لتكفينا للسفر إلى أي مكان بعيد معاً.

- ولأي سبب آخر، كنتما على الطائرةنفسها إذن؟ وما الذي جعلك تسافرين أساساً؟

هزت رأسها شاعرة بمزيد من اليأس: «لا أستطيع أن أجيب عن هذاالسؤال، كل ما أعرفه هو...».

وعندما سكتت سألها: «هو ماذا؟».

كانت ستقول له إنها لا تستطيع أن تتصور نفسها تهرب من رجل يجعلها تشعر بما تشعر به حالياً. لكنها لم تكن مستعدة لاعتراف كهذا. فقالت: «لا شيء. هل يمكننا أن نعود إلى الفندق؟ أشعر بصداع فظيع».

حل الاهتمام مكان الغضب وقال: «الذنب هو ذنبي إذ ألححّت عليك كي نكرر التجربة السابقة، سأستدعي سيارة أجرة».

كان قلقاً للغاية وهما يقفان في انتظار السيارة. ولم تكذب كارين بالنسبة إلى الصداع. فقد كانت تشعر بما يشبه ضربات مطرقة بين عينيها. هذه هي البداية فقط، والأسوأ سيأتي لاحقاً فمواجهة أسرته

ستنهكها إلى أقصى حد.

وصلا إلى الفندق قرابة منتصف الليل، فطلب من موظفة الاستقبال حبوباً لتخفيف الصداع وكأس ماء قبل أن يصعدا إلى غرفتيهما. وعند بابها قال لها: «أنا واثق من أن الصداع سيزول تماماً».

وتردد لحظة وعيناه على وجهها الشاحب، ثم حياها وتوجّه إلى غرفته الملاصقة لغرفتها.

شعرت بالارتياح لانفرادها بنفسهاأخيراً، فخلعت ثيابها ثم استحمت. كانت جدران الحمام مغطاة بالمرايا، فتفحصت نفسها بإمعان وهي تجفف جسدها. كان صدرها عالياً وخصرها نحيفاً وورکاها مستديرين بنعومة.

كانت تعلم أن جسدها يجذب الرجال، وجههاأيضاً في الأحوال الطبيعية. لقد أقامت علاقات عاطفية قصيرة مرات عدة. لكنها فقدت الأمل في أن تقابل الرجل المناسب لها حتى جاءت إلى «ريو دي جانيرو» وقابلت لويس أندراد. مجرد التفكير فيه أرسل رجفة في كيانها. لعل الغلطة التي ارتكبتها حينذاك أنها خلطت بين الرغبة والحب. هذه هي الغلطة التي لا بد أنها اكتشفتها في النهاية.

ومع ذلك، لا يمكنها أن تتصوّر نفسها تلجأ إلى رجل آخر تنشد السلوان، لاسيّما رجل مثل لوسيو فرناندیز ذاك. ولكن هل من الممكن أن يكون اليأس قد دفعها إلى إقامة علاقة معه علّه يساعدها على الهرب من «غواڤادا»؟

وعادت أفكارها تدور من دون أن تصل إلى نتيجة. الفرصة الوحيدة لديها لكي تعرف الحقيقة هي بالعودة إلى «غواڤادا». على أيّ حال، لا خيار آخر أمامها.

جعلها الإرهاق تنام بعمق، لتوقظها أشعة الشمس ورنين الهاتف بجانب سريرها.

سألها لويس: «كيف حالك؟».

- أحسن. كم الساعة الآن؟

- لقد تجاوزت العاشرة صباحاً. فاتك الفطور ولكن بإمكاني أن أرسل لك شيئاً إلى غرفتك.

كادت تقول إنها ليست جائعة لكن معدتهاأخذت بالاحتجاج، فطلبت منه أن يمهلها عشر دقائق.

- ماذا تحبين أن تأكلي؟

- فاكهة وقهوة فقط.

وضعت السماعة وهي تتساءل كيف يمكنها أن تتكلم بهذا الهدوء بينما قلبها يرقص لسماع صوته؟

قال لها بالأمس إنّ علاقتهما كانت طبيعية في الليلة التي سبقت هربها. إذا كان هذا صحيحاً، فمهما كان ما حدث بينهما من شجار، يبدو أنه لم يؤثر في انجذابها إليه.

اغتسلت وخرجت لتفتح باب الشرفة، لكنها عادت وأقفلته بسرعة عندما لفحتها الحرارة الرطبة، «سان باولو» أقل رطوبة من هنا بحسب لويس.

وصل النادل مع عربة تحتوي على أطعمة أكثر مما طلبته بكثير، وتبعه لويس.

كان يرتدي بذلة ليلة أمس مع قميص أسود مفتوح قليلاً عند العنق كشف عن سلسلة ذهبية تتدلى منها ميدالية صغيرة.

- طلبت فاكهة وقهوة فقط. لا أستطيع أن آكل كل هذا.

قال: «طلبت كل هذا إذا شئت أن تغيري رأيك. سأحتسي معك القهوة».

سكبت القهوة، شاعرة بعجز واضح. أخذ منها الكوب ووضعه على طاولة بجانبه وهو يقول: «حجزت مقعدين على متن الطائرة المتوجهة إلى «سان باولو» عند الساعة الواحدة والنصف. كنت على حق حين قلت الليلة الماضية إن محاولة تكرار تصرفاتنا منذ البداية ما

هو إلا مضيعة للوقت والجهد. كل ما يمكننا فعله هو العودة إلى «غواڤادا» آملين بالشفاء في النهاية».

أخذت ترشف قهوتها مفكرة، ثم سألت: «وماذا نقول لشقيقتك؟».

- لقد أعلمتها بمسألة فقدانك لذاكراتك. تحدثت إليها منذ قليل، وهي ترسل لك حبها، وتأمل أن تساعدك على الشفاء.

- وماذا عن البقية؟

- ستخبرهم ريجينا. إذا كان ما قد تقوله بياتريس يهمك، فاطمئني إلى صمتها.

- أتظنها لن تخبر حتى زوجها بالسبب الحقيقي لرحيلي؟

تردد لحظة: «لست أدري. يجب ألاّ يكون هناك أسرار بين الرجل وزوجته».

شغلت كارين نفسها بتقطيع الفاكهة لحظة ثم قالت: «بصفتك مدير المزرعة، أظن أنّ نفوذك قوي».

- أنا لا أدير المزرعة، بل أملكها.

رفعت رأسها: «تملكها؟».

فسألها ساخراً: «لماذا تدهشين؟ هل أبدو لك رجلاً فقيراً؟».

- لا، أبداً... ظننت فقط...

وهزت كتفيها: «لست واثقة مما ظننت. هل أخوك شريك لك؟».

- كلا. هل ستأكلين الفاكهة أم تتسلين فقط بوخزها؟

رفعت إلى فمها قطعة موز وأخذت تمضغها بعزم. كانت الفاكهة هنا ألذّ منها في الوطن بكثير. لكن إنكلترا لم تعد وطنها، فهي قد لا تراها مرة أخرى أبداً!

سألته علّها تطرد كآبتها: «هل يبعد المطار كثيراً؟».

- مطار «سانتوز ديمونت» يقع وسط مدينة «سان باولو». الرحلة نفسها تستغرق أقل من ساعة، لكن الطريق من المطار إلى «غواڤادا»

أطول. سنصل إلى هناك قبل الغروب.

لكي تقابل أناساً لا تتذكرهم... أناساً عرفوها طيلة ثلاثة أشهر.

وتساءلت كارين كيف ستواجه ذلك؟

٣ - لا أخاف منك

كانت الرحلة قصيرة هادئة. وكان لويس قد ترك سيارة «لاند روفر» في مطار «سان باولو» حين غادرها، ما جعل كارين تتساءل كيف تمكنا، هي ولوسيو، من الوصول إلى المطار. إذا استخدما سيارة، فلا بد أنها ما زالت متوقفة هنا.

لم تثر الموضوع، فأي ذكر للوسيو فرنانديز أشبه بالتلويح بقطعة قماش حمراء أمام عيني ثور.

وفي الساعة الرابعة، خلّفا ضاحية المدينة خلفهما، واخترقت بها السيارة سهولاً خضراء تتخللها أشجار مبعثرة هنا وهناك، ومزارع معزولة. وكما أخبرها لويس، كان الجو أفضل بكثير منه في العاصمة «ريو دي جانيرو».

لم تتذكر كارين أياً من هذه المعالم، وهذا لا يعني أنها كانت تتوقع ذلك. وكلما اقتربت من البيت الذي هجرته منذ أيام عدة فقط، كلما زاد شعورها سوءً. لعل بياتريس هي الشخص الوحيد الذي يعرف سبب هربها، ولكن الآخرين لن يروا في اختلافها في الرأي مع لويس سبب كافٍ للرحيل. ثمة احتمال كبير في أن يشكّوا في صحة الفقدان الجزئي لذاكرتها. وعليها أن تعترف بأن هذه وسيلة مناسبة لتجنب تحمّل مسؤولية عملها.

نظر إليها قائلاً: «هل تشعرين بوعكة؟ أتريدين أن تتوقف قليلاً؟».

هزت رأسها وتمالكت نفسها: «مجرد توتر، كيف تراهم يتصرفون نحوي؟».

ابتسم بفتور: «حسب معرفتي بأختي، ستأخذك في أحضانهاوتواسيك. إنها تلومني لأنني، بطباعي المستبدة، جعلتك تهربين».

- وهل أنت مستبد حقاً؟

- ليس أكثر مما يلزم لكي أحظى احترامك. نحن من ثقافتين مختلفتين وعلينا أن نوفّق بينهما. اعتقدت أننا حققنا توازناً.

- لكني دمّرت ما بنيناه بالهرب مع رجل آخر؟ ما زلت لا أصدق أنني قمت بعمل كهذا. أن أترك...

وقطعت حديثها، فقال يحثها: «أن تتركي ماذا؟».

أوشكت كالليلة الماضية أن تقول له، أترك رجلاً مثلك... لكن هذا سيبدو كأنه تملّق، فغيرت كلامها: «أترك من دون أي تفسير. التصرّف كله مخزٍ».

بدا الحزم على ملامح لويس مرة أخرى: «علينا أن ننسى ذلك كله».

- ولكن هل بإمكانك ذلك؟

- كما قلت من قبل، ليس أمامي خيار آخر.

لم تجد في جوابه ما يريح. في الواقع، لم تكن تتوقع أي راحة. وما زال صعباً عليها أن تتقبّل فكرة أن الفتاة التي ما زالت تشعر بها في أعماقها، تتصرف بالشكل الذي نُسب إليها. بدا لها كأن امرأة أخرى احتلت جسدها في الأشهر المفقودة.

قالت بعد لحظات، متلهفة إلى خرق الصمت الذي ساد بينهما: «أخبرني عن المزرعة».

هز كتفيه: «ماذا يمكنني أن أقول؟ «غوافادا» تنتج لحوم البقر للتصدير، منذ أيام جدي. ازدادت مساحة الأرض على مر السنين حتى أصبحت كما هي الآن».

- أنت تملك الثلث إذن؟

- بصفتي الابن البكر، أنا أرث كل شيء.

ابتسم عندما رآها لا تجيب، وقال: «أشعر أنك تستنكرين هذا».

-يبدو هذا غير منصف، هذا كل ما في الأمر. في إنكلترا، الذكور والإناث يرثون. لكل منهم حصة.

- هذه ليست إنكلترا. أخي ريموند غير محتاج. فلديه عمله الخاص. أما بالنسبة إلى ريجينا، فهي تحمل اسم الأسرة حتى تتزوج فقط.

-وهل زواجها وشيك؟

- على ريجينا أولاً أن تقابل رجلاً يثير اهتمامها لأكثر من أسابيع.

- حسناً... في الثامنة عشرة لديها الكثير من الوقت. فأنت، على أيّ حال...

وعندما صمتت فجأة، أنهى كلامها ساخراً: «فأنا على أيّ حال... انتظرت وقتاً طويلاً حتى وجدت المرأة التي تناسبني؟».

- أو التي اعتقدت حينذاك أنها المرأة المناسبة. كلنا نخطىء.

- لا سيما عندما يؤثر في الحكم وجه وجسم جميلان.

- أشك في أن تسمح لرغباتك بأن تتحكم فيك إلى هذا الحد، تماماً كما كنت أنا نفسي لأفعل.

لم يجب لويس، وبدا شارد الذهن مرة أخرى، بينما استندت كارين إلى الخلف وأغمضت عينيها، محاولة أن تسيطر على نفسها. مهما حدث لحين وصولها إلى البيت، فستتصرف بإيجابية. مرت السيارة في طرقات المدينة الفسيحة المتألقة بالنباتات والأشجار الخضراء، ثم سلكت، بعد ربع ساعة، طريقاً أضيق لتمرّ تحت قوس خشبي حُفر عليه اسم.

لم ترَ أيّ أثر لمساكن أو ماشية، لكن المساكن ما لبثت أن ظهرت من خلف الأشجار.

توقعت كارين أن تجد المساكن على غرار تلك التي كانت تراها

في أفلام رعاة البقر وإذا بها تفاجأ بمبنى جميل تمتد أمامه مروج خضراء رائعة الجمال، وتحيط به شرفات مسقوفة.

بدت الفتاة التي خرجت من البيت بسرعة عند توقف السيارة، من آل أندراد بشعرها الأسود الكث الذي يصل إلى خصرها، وبوجهها البالغ الحيوية. كما بدا جسمها جميلاً مليئاً بالحيوية هو أيضاً. وكما تنبأ لويس، لم تهتم مثقال ذرة بفقدان الذاكرة وهي تنزل السلم مسرعة وقد فتحت ذراعيها وابتسمت ابتسامة مشرقة.

- ما أجمل أن تعودي إلينا! ولكن يا لوجهك المسكين! لا بد أن الرضوض تؤلمك!

- لم تعد تؤلمني الآن، كما أن الآثار ستزول بسرعة.

وابتسمت لتغطي ارتباكها وهي تقول: «عندئذ، قد استعيد ذاكرتي أيضاً».

مرت سحابة على وجه ريجينا سرعان ما أزاحتها بحماسة: «نعم ستعود! أنا واثقة من ذلك!».

قال لويس يخاطب كارين: «أظن أنك عطشى، أتريدين شراباً بارداً؟».

ترددت: «ألا يوجد شاي؟».

فقال هازلاً: «طبعاً، فأنت تصرين على الشاي لأنك تقولين إن الإكثار من القهوة يسيء إلى الصحة».

تحسن مزاجها قليلاً وحاولت أن تقول بمرح: «هذا كلام تنقصه اللباقة في بلاد مشهورة بالبن!».

فهتفت ريجينا: «أنا أيضاً أحب الشاي. سأجهزه حالاً. تعالي».

دخلت كارين معها إلى ردهة فسيحة في وسطها سلم حديدي، تكثر فيها النباتات الطبيعية، التي وضعت إما في أصص فخارية، وإما تدلت في سلال من السقف.

كانت المرأة التي وقفت في أعلى السلم في منتصف العشرينات،

ذات شعر قاتم الشقرة، على عكس ريجينا. كما أن ملامحها الأخاذة بدت مختلفة. ولم يكن في عينيها العسليتين أي ترحيب، بل نظرة عدائية باردة.

تحدثت بالبرتغالية ما جعل لويس يرمقها بنظرة تأنيب، قبل أن يقول: «علينا أن نتحدث بالإنكليزية في حضور كارين، كما فعلنا عند وصولها إلى غواڤادا لأول مرة».

فقالت كارين: «هل هذا يعني أن عليّ أن أتعلم البرتغالية؟».

فقال: «لقد حققت تقدماً لا بأس به في اللغة».

وجدت من الصعب عليهاتصديق كلامه. سألته المرأة التي لا بد أنها بياتريس: «أتريدنا أن نوافق جميعاً على طلبك هذا؟».

- الموافقة هي شأنك أما الكلام فهو شأني في هذا البيت. أين ريموندو؟

- اضطر للخروج لمعالجة مشكلة.

بدا على بياتريس الاشمئزاز من تحذيره هذا لكنها لم تكن مستعدة لمجادلته.

قال لويس: «سنتقابل على العشاء».

وخاطب أخته قائلاً: «دعيهم يرسلون الشاي إلى غرفتها».

وأمسك بذراع كارين يقودها إلى الطابق العلوي زارعاً الفوضى في مشاعرها بعد أن نجحت تقريباً في استعادة هدوئها. وبعد أن أطلق سراحها عند أعلى السلم تمزقت بين شعورين. الأول هو شعورها بالتحرر من لمسته، والثاني، وهو الأعمق، حنينها إلى مزيد من الملامسة.

كانت الغرفة التي قادها إليها تقع في نهاية الممر، وهي فسيحة، حسنة التهوئة تخفف الجدران البيضاء من لون الأثاث الخشبي القاتم.

لفت السرير الواسع نظرها، فهو يتسع لأربعة أشخاص على الأقل.

قال مشيراً إلى باب: «هذا حمامك أما الباب الثاني فيقود إلى غرفتي».

وتأمل التعبير الذي بدا على ملامحها ساخراً ثم تابع: «رغم أننا لم نستعملها كثيراً، إلا أن بعض التقاليد ما زالت سائدة في بلادنا».

كان يقف قريباً منها فتملكتها رغبة جنونية في أن تضع ذراعيها حول عنقه، وتتلمس طريقها عائدة إلى ما فقدته. لكن الخوف من رفضه لها منعها من ذلك. سيحتاج إلى وقت لكي يتخلص من صورتها بين ذراعي رجل آخر، وهي لا تستطيع أن تلومه.

أحضر حقيبة ملابسها خادم يرتدي بنطلوناً أسود وقميصاً أبيض وألقى عليها نظرة فضولية، لكنه لم يتكلم، بل وضع الحقيبة في المكان المخصص لها ثم خرج... وأخذت تفكر بسخرية جافة، في أنه سيتحدث مع الآخرين عن عودة الزوجة الضالة.

وقف لويس عند النافذة، واضعاً يديه في جيبي سرواله، ناظراً إلى الخارج.

قال: «علينا أن نجد سبيلاً. لا يمكننا العودة إلى الخلف. بل سنتقدّم إلى الأمام فقط».

فقالت بصوت منخفض أجش: «أعلم هذا. لن يكون الأمر سهلاً بالنسبة إلينا».

استدار ينظر إليها. والتوت شفتاه حين رأى شحوب وجهها، والظلال تحت عينيها، وسألها: «هل تخشين فكرة تجديد علاقتنا؟».

- بل أخاف فكرة العيش مع هذه الصفحة البيضاء في ذاكرتي لبقية حياتي.

- قد لا يستمر الأمر طويلاً. أخبرني الطبيب أن شفاءك ممكن في أي لحظة.

ساورهاالشك في أن يكون الطبيب قد أخبره أيضاً أنه كلما طال أمد فقدان الذاكرة كلما ضعف الأمل في الشفاء منه.

حدقت إليه بصمت، تريده أن يخطو الخطوة الأولى نحو تجديد علاقتهما. فهو ما زال يريدها. إنها تشعر بذلك. وصول الشاي، الذي حملته فتاة شابة هذه المرة، أوقف أي حركة قد يقدم عليها.

قال: «سأتركك لترتاحي. العشاء في التاسعة. أرى أن تستغلي وقتك لترتاحي، إذ يبدو عليك االإرهاق».

كانت تشعر فعلاً، أنها مرهقة جسدياً ونفسياً. كم شعرت بالوحدة، عندما خرج! كانت سيدة هذا المنزل لثلاثة أشهر، وهو الدور الذي يُفترض بها أن تلعبه إذا استمر زواجهما. وهذه الفكرة بالذات مثبطة للهمة.

وبالرغم مما تشعر به من إرهاق، إلاّ أنّ النوم جافاها. شربت الشاي ثم ألقت نظرة على الحمام، فوجدته شديد الترف بما فيه من أدوات زينة نسائية غالية الثمن. عادت تغلق باب الحمام فرأت صورتها في المرآة المقابلة. كانت الخدوش قد ابتدأت تشفى كما أصبحت الرضوض على صدغها أخف. بعد أيام، أو أسبوع كحدّ أقصى، لن يبقى أيّ أثر للاصطدام.

وفي غرفة نومها، حاولت أن تفتح الباب الموصل بين الغرفتين فوجدته مقفلاً. لقد قال إنه لا يمضي الكثير من الوقت في هذه الغرفة، لكن لا بد أنه سيمضي هذه الليلة فيها. مهما كان ما ضاع منهما، ما زال الانجذاب الحسّي بينهما قوياً، وهذا كل ما عليها أن تتشبث به.

فتحت خزانة تحتوي على الكثير من الملابس وأخذت تبحث فيها عن شيء ما، أي شيء مألوف لديها فلم تجد. فخطر لها أنهااشترت من دون شك مجموعة كاملة من الملابس الجديدة عند قدومها إلى «ريو دي جانيرو».

سطح طاولة الزينة الداكن كان عارياً. وأخيراً، وجدت أغراضاً مألوفة في أحد الأدراج، وهي فرشاة فضية هدية من والديها في عيد

ميلادها الثامن عشر، وتمثالان صغيران لراقصي باليه، وصندوق فضي تستعمله للمناديل الورقية. لم يكن أي من هذه الأغراض ثميناً، لكنها لا تقدر بثمن من الناحية العاطفية.

لا بد أن تجد أغراضاً أخرى في مكان ما. فلا يمكن أن تكون هذه وصورة والديها، كل ما طلبت من جولي أن ترسله. لكنها كانت كافية لتمنحها شيئاً من الشعور بالوطن.

لا بد أن شخصاً ما دخل إلى هذه الغرفة وأخذ كل ما فيها. واستبعدت أن يكون الخدم لأن هذه الأغراض ليست ما يستسيغ خادم سرقته. كما استبعدت أن يفعل ذلك ريموندو أو ريجينا. وبهذا لا يبقى سوى بياتريس.

كان عداء المرأة لها واضحاً للغاية. ونظراً لما عرفته، لم تستغرب هذا منها. وقد تظن أيضاً أنها لفقت قصة فقدان الذاكرة لكي تحمي نفسها من غضب لويس.

أخيراً، تغلب عليها الشعور بالإرهاق. وبما أنّ ثلاث ساعات تفصلها عن موعد العشاء، قررت أن ترتاح كما نصحها لويس. فهي ستحتاج إلى كل ما لديها من صبر لتتمكن من تمضية هذه الليلة.

عندما فتحت عينيها كانت غرفتها مضاءة، والنوافذ مغلقة على العالم الخارجي. ولم تكن قد خلعت ثيابها قبل أن تستلقي على سريرها، لكن ثمة من غطاها بملاءة خفيفة. وتساءلت إن كان لويس هو الفاعل.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة، وعندما جلست شعرت برأسها ثقيلاً، وبرمال في عينيها. عليها أن ترغم نفسها على الوقوف.

أنعشها الاستحمام نوعاً ما، رغم أنها لم تجد وقتاً لتغسل شعرها وتجففه كما كانت تتمنى، فشبكته إلى الخلف بمشط بشكل سلحفاة وجدته في الدرج.

لم تجد ثوباً مناسباً تلبسه، فاختارت تنورة واسعة وبلوزة بيضاء

مفتوحة عند العنق. أخذت تنظر إلى صورتها في المرآة باهتمام، فرأت نفسها مختلفة تماماً عن عادتها، أو ما اعتادت أن تبدو عليه في ملابس المناسبات الرسمية. لكنها ما لبثت أن اعترفت أن ما لبسته الآن يناسبها.

اقترب موعد العشاء فغادرت الغرفة. وعند أول السلم، رفع الرجل الواقف في الردهة بصره إليها متفحصاً بسرعة.

كان الشبه بينه وبين أخيه لويس ملحوظاً.

- لا بد أنك ريموندو.

عاد فرفع رأسه ينظر إليها طويلاً، متأملاً بصمت ثم قال أخيراً: «إذن فهذا صحيح. أنت لا تتذكرينني».

- ولا أتذكر أي شخص. أنا... آسفة!

فقال بعطف مخلص: «هذا شيء فظيع. هل ستنزلين؟».

سرّها قليلاً أن اللوم لم يظهر في لهجته، باعتبار أن زوجته أخبرته عن لوسيو فرناندیز... نزلت ووقفت بجانبه. كان أقصر من لويس، لكنه لا يقل عنه لياقة.

قال شيئاً بالبرتغالية، ثم هز رأسه وكأنه يتذكر: «يسرّني أن تعودي إلينا. قريباً جداً ستتكلمين لغتنا مرة أخرى».

- لا أستطيع أن أتصور هذا حالياً، لكنني سأبذل جهدي.

وابتسمت فجأة، فمد لها ذراعه: «هل تسمحين لي بأن أقودك؟».

كان يعني إلى غرفة الطعام طبعاً، فقالت وهي تمد له ذراعها: «شكراً».

ولم يكن كارين تعلم أي الأبواب هو باب غرفة الطعام.

وجدا بقية الأسرة مجتمعة في غرفة هي أصغر بكثير مما توقعت في منزل بهذا الحجم. المائدة نفسها كانت مستديرة، لا تتسع لأكثر من ستة أشخاص.

وكأنما شعر ريموندو بحيرتها، فقال لها: «هنا نجلس حين نكون

أسرة واحدة أما غرفة الطعام الكبيرة فللمناسبات».

كانت عيناه على أخيه الذي نهض عن كرسيه، وقال له: «كانت كارين تائهة وبحاجة إلى من يرشدهاإلى هنا».

تقدم لويس بوجه جامد، وجرّ كرسياً إلى جانبه لتجلس عليه، وذلك بدعوة صامتة، فجلست عليه شاعرة بكل شيء ما عدا الراحة، واعية إلى عيني بياتريس ترمقانها عبر المائدة بعداء.

جلس ريموندو بين الاثنتين، بينما أكملت ريجينا الدائرة... بعد أن همست بحرارة حين رأتها: «تبدين أقل تعباً مما كنت حين وصولك. لقد أفادتك الراحة».

وقال لويس: «لقد نمت بعمق، فأنت لم تستيقظي عندما أغلقت مصراعي النافذة».

قالت كارين بمرح قدر إمكانها: «كان يوماً شاقاً».

وراحت تفكر في أن الليل سيكون أكثر مشقة، ولكن عليها أن تصبر فهي متأكدة من أن بياتريس لن تسمح بجعل حياتها سهلة.

كانت تشعر بالجوع، فأكلت من يخنة السمك اللذيذة التي شكلت الطبق الرئيسي. ورفضت بعد الطعام أن تتناول القهوة أو الشاي. إذ كانت متلهفة إلى العودة إلى العزلة في غرفتها، رغم خوفها من ساعات الوحدة القادمة.

لم يتكلم لويس أثناء تناول الطعام إلا قليلاً. وكانت تراه بطرف عينها وهو يرفع كوب القهوة إلى شفتيه. إنه زوجها... الرجل الذي يبدو أنها تزوجته في لحظة لم تكن تدري فيها ما تفعل. ورغم إعجابها بتأثيره في مشاعرها بمجرد النظر إليه، إلا أن اتباعها تلك النزوة الطارئة كان جنوناً.

لم تعرفه حينذاك أكثر مما تعرفه الآن. ولا بد أنّ جولي ظنتها مجنونة كلياً، فهذا ما كانت لتظنه بها لو أن الوضع معكوس... ولكن جولي ما كانت لتوقع نفسها في ورطة كهذا، لأنها واقعية ومنطقية

جداً.

ربما لو بقيت على اتصال بها، لأخبرتها بما يحدث لها هنا. عليهاأن تطلع جولي على مسألة فقدانها لذاكرتها ثم تسألها. ورغم انزعاجها من هذه الفكرة إلا أنها وجدتها الطريقة الوحيدة لمعرفة ما دفعهاإلى مثل التصرف.

سألها لويس: «هل يؤلمك رأسك؟».

فأدركت فجأة أنها تضع يدها على صدغها.

- قليلاً.

فقال وهو يقف ثم يتقدم نحوها: «عليك إذن أن ترتاحي مرة أخرى. النوم أفضل دواء».

وخطر لها أنه قد يشفي الجسد، لكنه لن يؤثر كثيراً في حالتها الذهنية. قالت تخاطب الجالسين حول المائدة: «تصبحون على خير».

وتجنبت النظر مباشرة إلى بياتريس بينما أجابت ريجينا: «غداً سنجدد معرفتك بلاسانتا».

فقال لويس موضحاً: «المدينة التي مررنا بها».

وتابعت ريجينا: «غداً يوم السوق، أنت تحبين السوق».

استطاعت كارين أن تتصور ذلك، فلطالما أحبت الأسواق. وابتسمت للفتاة: «يسرني هذا جداً».

توقعت أن تترك وحدها لتجد طريق العودة إلى غرفتها، فتملكها الارتباك عندما رافقها لويس.

قالت له في الردهة: «لست بحاجة إلى مرافقتي. سأكون على ما يرام وحدي».

- أنت بعيدة عن أن تكوني على ما يرام. أنا نفسي بحاجة إلى الراحة، فلا تخافي مني الليلة.

- أنا لا أخاف منك... إنما...

وبسطت يديها بعجز مضيقة: «من الصعب أن أعرف ما عليّ أن

أقول!».

- إذن، لا تتكلمي. الزمن وحده سيقرر ما إذا كان زواجنا سيعود إلى سابق عهده. لكن اطمئني إلى أنه سيستمر، سواء أكانت علاقتنا حسنة أم سيئة.

لم يكن لديها ما تقوله بهذا الشأن، كما أدركت بألم.

٤ ـ سابقى

استيقظت كارين في السابعة والنصف صباحاً، وفي الثامنة نزلت إلى الطابق السفلي لتجد أن لويس وأخاه ريموندو تناولا الفطور وخرجا إلى أعمالهما.

تناولن الطعام في الشرفة الخلفية للمنزل. وكانت كارين تتناول الفاكهة، وهي تشعر بأنها مقيّدة تحت نظرات بياتريس الفولاذية، فشكرت لريجينا جهودها لتلطيف الجو.

لا بد أنها جاءت عروساً إلى هنا في شهر تشرين أول... عروساً غارقة في غرام رجل عرفته منذ أيام فقط، لتكتشف أنّ عالمها الجديد ليس ورديّاً.

وتساءلت كم تطلبت الحقيقة من وقت لكي تظهر؟ وكم من الوقت مرّ عليها قبل أن تبدأ بالندم على تخليها عن كل ما تعرفه لكي تعيش في بلد غريب تماماً بالنسبة إليها؟ الحياة هنا مختلفة عما تعودته، فهل تكيّفت حقاً؟

قالت تخاطب ريجينا، محاولة أن تتجاهل ظل بياتريس الثقيل: «قلت إنك ستعاودين تعريفي إلى لاسانتا اليوم. أما زلت ترغبين في ذلك؟».

ترددت الفتاة لحظة: «طبعاً... أنت تعلمين أن خبر فقدانك الذاكرة انتشر».

- هذا سرّ من الصعب الاحتفاظ به. على الأقل لن يتوقّع مني الناس أن أميّزهم بمجرد النظر إليهم.

www.elromancia.com

بعد صمت طويل، قالت بياتريس شيئاً حاداً بصوت منخفض ثم نهضت فجأة ودخلت إلى البيت. تبادلت كارين النظرات مع ريجينا وهزت كتفيها بعجز، فقالت لها الفتاة: «لا تهتمي بها. لطالما كانت تغار منك. لقد أخذت المركز الذي أرادته لنفسها لو طاوعها لويس. ريموندو أخي أيضاً وأنا أحبه كثيراً، لكنه يحتل المرتبة الثانية في الأهمية بنظر بياتريس».

فوجئت كارين بهذا الكلام: «ولكن... هذا افتراض خطير منك».

- أنا لا أفترض شيئاً. إنها لا تحبه، حتى أنها رفضت أن تنجب له طفلاً.

شعرت كارين أن من واجبها أن تعترض، فقالت: «لا يمكنك أن تعلمي هذا».

- لماذا إذن لم تحمل طوال سنوات الزواج الثلاثة؟ ريموندو يتلهف إلى الانجاب!

لا بد أن لويس يريد أولاداً هو أيضاً، أو ابن واحد على الأقل... ومع ذلك لم تحمل هي. فهل المشكلة من ناحيتها هي أم من ناحيته؟

فقالت: «هذا يحدث أحياناً. وثلاث سنوات ليست مدة طويلة جداً».

- هذه مدة طويلة بالنسبة إلى أسرة إندراد. كنت قد تزوجت من أربعة أسابيع فقط حين اكتشفت أنك حامل. ألم يخبرك لويس؟

هتفت بجملتها الأخيرة وقد اتسعت عيناها السوداوان بفزع مفاجىء حين رأت التعبير الذي بدا في العينين الخضراوين قبالتها.

- لا، ماذا حدث؟

بدا صوتها وكأنه صدى من مكان بعيد.

- أجهضت... آسفة، ظننت... اعتقدت...

بذلت كارين جهدها لكي تمنع نفسها من الانهيار. طفل! كانت سترزق بطفل! كيف لم تعرف ذلك؟

- أظن أن لويس رأى أن لديّ من الهم ما يكفيني، حالياً. كم... استمر حملي؟

- شهران تقريباً. سيغضب مني لأنني أخبرتك. يا لي من غبية!

تنفست كارين بعمق محاولة تمالك نفسها: «كنت سأعلم يوماً ما. أتعلمين ما الذي سبّب لي الإجهاض؟».

- لم يجد الأطباء سبباً لذلك. وقالوا ألاّ خوف من أن يتكرر ذلك. سترزقين بأطفال أصحاء، أنا واثقة من ذلك...!

قطعت حديثها مرة أخرى عندما تذكرت الظروف الحالية، وبدا عليها الأسف وهي تردف: «ها أنا أتحدث مرة أخرى قبل أن أفكر. هل يمكنك أن تسامحيني؟».

فابتسمت كارين مرغمة: «ما من شيء يستوجب الغفران. هل يلومني لويس على هذا الإجهاض؟».

ردّت ريجينا بذهول: «يلومك؟ كلا بالطبع. كان حزنه بالغاً طبعاً، لكن قلة كان عليك أنت. إنه يحبك كثيراً يا كارين. عليك أن تصدقي هذا».

- أخبرني أننا كنا نختلف كثيراً.

فقالت ريجينا بتردد: «حسناً، نعم. إنه مستبد أحياناً، لكن لم يحصل بينكما أي خلاف جاد إلى أن...».

قالت كارين تكمل الكلام عنها: «إلى أن رحلت أنا فجأة».

فأومأت الفتاة: «لقد صدمنا رحيلك، لكن وقعه كان أشد على لويس. مهما كان ما قاله أو فعله ليدفعك إلى الرحيل، فقد تملكه الخبل. من حسن الحظ أنه عاد إلى البيت مبكراً إذ لم يكن قد مضى على رحيلك ساعة أو اثنتان، فلحق بك».

قطبت كارين حاجبيها محاولة أن تخترق عالم الظلمات: «وكيف

استطاع أن يعرف وجهتي؟».

- لقد أخذت جواز سفرك وكأن في نيتك العودة إلى إنكلترا. لكن لو كان هذا هدفك، لسافرت مباشرة من سان باولو. أظنك ذهبت إلى ريو دي جانيرو لأنك أردت تلقينه درساً.

وخطر لكارين أنه من الأفضل أن تقتنع ريجينا بهذه الفكرة من أن تعرف الحقيقة. إذا كان لوسيو فرنانديز قد أخبر أحداً عن علاقتهما فهذا ما لا يمكن معرفته إلاّ أن خوفه من لويس كفيل بأن يبقي فمه مقفلاً. لكنها ما زالت تجد صعوبة في أن تصدق أنها كانت على علاقة برجل غير زوجها لأن رأيها بالخيانة الزوجية سلبي... لقد قرأت في مكان ما، أن فقدان المرأة لطفلها يمكن أن يؤثر فيها من نواح عدة وليس جسدياً فقط، فهل خسارتها للجنين تسببت في تغيير أخلاقها؟ وتابعت ريجينا تقول: «لقد أعادوا من المطار السيارة التي رحلت بها».

فقالت بذهن شارد: «هل أستطيع القيادة؟».

- طبعاً، وإلا كيف وصلت إلى هناك؟ لقد علمك لويس بنفسه لئلا تستعيني دوماً بكارلوس السائق. أنا أيضاً لدي دفتر سوق الآن ويسرني أن أرشدك.

شعرت كارين برأسها يدور: «إذا كنت لا أستطيع أن أتذكر أني قادرة على القيادة، فلا يمكنني أن أقود سيارة».

- أتفهم كراهيتك لذلك. ربما ستتذكرين بسرعة إذا حاولت.

لم تستطع كارين أن تتصور ذلك. لو كانت تعرف موعد عودة لويس، لبقيت لتواجهه بما علمت لتوّها. ولكن انتظار قدومه سيزيد فقط من غليان الغضب بداخلها. كان عليه أن يخبرها بشأن الجنين! كيف أمكنه ألاّ يخبرها؟ ما الذي يكتمه عنها أيضاً؟

سألتها متلهفة للتخلص من أفكارها هذه: «ماذا عليّ أن ألبس لأذهب إلى المدينة؟».

- نحن نرتدي ملابس مريحة، لا سيّما في الصيف. من الصعب أن أتقبّل قلة ما تعلمينه عن طريقة حياتنا الآن، بعد أن أصبحت واحدة منا.

وتنهدت فسألتها كارين: «ألم أكن أشتاق إلى وطني؟».

- ربما أحياناً، لكن سرعان ماكان لويس يجعلك تبتسمين. أخبرتني مرة أنه الرجل الوحيد الذي أحببته.

ونظرت إلى ساعتها مضيفة: «يجب أن نذهب ما دام الصباح في أوله».

صعدت كارين إلى غرفتها واستبدلت ملابسها ببنطلون جينز وقميص، على غرار ريجينا. ما زالت الأموال في محفظة النقود. ليس لديها فكرة عن قيمتها، لكنها كافية بالتأكيد لشراء كل ما ترغب فيه.

لكنها وجدت جيباً آخر في المحفظة يحتوي على بطاقة مصرفية تحمل اسمها. لا بد أنها كانت تعتمد على هذه البطاقة في مصاريفها. ولعل لوسيو فرناندیز اعتمد عليها هو أيضاً، ولهذا اختفى عندما صدمتها السيارة، فآخر ما يريده هو أن يكون موجوداً حين يأتي لويس.

هذه الأفكار لا تطاق... أي سحر كان لذلك الرجل عليها؟

كانت المدينة مليئة بالمتاجر والمطاعم وأماكن اللهو. ويقع السوق في ساحة تظللها الأشجار، فيما تغطي منصات البيع مظلات مشرقة الألوان.

سارت بجانب ريجينا، تلاحقها نظرات جانبية وتعليقات هامسة من بعض الباعة. جاهدت لتجاهل ذلك فالاستياء لن ينفع، وعليها أن تعتاد ذلك.

المرأة التي حيّتها ريجينا عند إحدى المنصّات، لم تبذل جهداً لإخفاء ارتباكها.

قالت ريجينا: «هذه هي السيدة فيريز. هي وزوجها ماركس، من

أصدقاء الأسرة الحميمين».

قالت كارين باسمة، مصممة على السيطرة على أي ارتباك: «آسفة لمظهري هذا».

فقالت المرأة وقد بدا عليها الارتياح: «ليس في مظهرك أي عيب. حزنّا جميعاً عند سماع خبر الحادث. لا بد أن الأمر كان صعباً جداً».

- لم يكن سهلاً أبداً. أشعر وكأنني سمكة خارج الماء.

- من الأفضل أن تقابلي الأشخاص الذين عرفتهم من قبل. سأقيم حفل شواء يوم الأحد القادم.

وعدما لم تجد كارين منفذاً لتتخلص من هذه الدعوة التي قد تكون مربكة لها، ابتسمت قائلة: «هذا لطف بالغ منك. يسعدني جداً أن ألبي الدعوة».

وعندما تابعت السير مع ريجينا، قالت هذه تسهل الأمر عليها: «لن يكون ذلك سيئاً. الناس الذين سيحضرون، سيبذلون جهدهم ليساعدوك. أصدقاؤنا يحترمونك جداً».

- هل كنت أراهم كثيراً؟

- في مناسبات كثيرة. فنحن نقيم مناسبات اجتماعية على الدوام. وعلى عكس مدينة ريو دي جانيرو يمكن للطقس هنا أن يكون بارداً جداً في الشتاء. عندئذ، نقيم حفلات ترفيهية في الداخل.

كانت كارين تعتقد أن الجو حار طوال العام في كافة أنحاء البرازيل. لكن، ونظراً لمساحة البلاد الشاسعة، رأت أنه لا بد من وجود اختلاف في المناخ. وبدا لها هذا وكأنها في وطنها.

وطنها! واكتسحتها موجة من الحنين. هل سترى إنكلترا مرة أخرى؟

كانت رغبتها في مواجهة لويس بغضب، قد خفّت عند وصولها إلى البيت. لكن منظره وهو يتكىء بتكاسل على الشرفة وكأن لا هم في

العالم يشغل باله، جعل الغضب يعتمل في داخلها مجدداً.

بدا في القميص والبنطلون الأسودين، والجزمة الجلدية الطويلة الساقين، مختلفاً جداً عن الرجل الذي أحضرها أمس إلى هنا. لا بدّ أن السبب هو ملابس العمل، رغم أن رجلاً في مركزه لا يمكن أن يُستدعى لينجز عملاً يدوياً.

سألته ريجينا بشيء من التوتر: «منذ متى تنتظرنا؟».

قال مخاطباً كارين وعيناه على البقعتين الملتهبتين على وجنتيها: «منذ ساعة تقريباً. هل استمتعت بجولتك في السوق»؟

فأجابت باختصار: «لم أتذكر شيئاً إذا كان هذا ما تريد أن تعرفه».

ضاقت عيناه من لهجتها: «يبدو عليك العداء. هل هناك ما تريدين أن تقوليه لي؟».

فقالت ريجينا وقد بدا عليها الارتباك: «الذنب ذنبي. ظننت أن كارين على علم بمسألة إجهاضها».

قاطعتها كارين مخاطبة لويس: «لو كان لديك لباقة لأخبرتني بنفسك، فلا تلم ريجينا التي اعتبرت معرفتي بالأمر أمراً مسلماً به».

- يُفترض أن تشعر ريجينا أنك لست مهيأة لسماع خبر كهذا.

ونظر إلى ريجينا مضيفاً بغضب: «لديك دوماً ما يكفي لإثارة الجدل».

فقالت كارين: «أنا أفضل من يقرر ما يمكنني أو ما لا يمكنني مواجهته».

توترت شفتاه: «كيف يمكنك أن تحكمي مسبقاً على ما يمكنك مواجهته من أنباء؟ أنا أحكم بناءً على ما أراه الأفضل بالنسبة إليك».

كانت ترتجف، لكن الغضب منعها من أن تسكت: «إذا كان لي أيّ حظ في استعادة ذاكرتي، فعليّ أن أعرف كل ما حدث في الأشهر الماضية. وهكذا أي خبر آخر ما زلت تخفيه عني، سوف...».

قاطعها متوتراً: «ما في شيء أكثر من ذلك. وأرى أنه من الأفضل

أن تهدئي أعصابك قبل أن تقولي أي شيء آخر».

وعندما رآها تهم بالكلام، رفع يده: «هذا يكفي».

تراجعت كارين مكرهة، غير قادرة على مواجهة التحدي. لقد قالت ريجينا إنه مستبد، وهذا صحيح! وتملكها الشك في أن هذا وحده كان كافياً لأن يدفعها نحو رجل آخر. لا بد أن هناك سراً آخر... سراً لم يخبرها به بعد.

سمعت حركة عند الباب، فحوّلت عينيها إليه. أياً كان عند الباب فقد ذهب الآن، لكن شعوراً قوياً تملكها بأنها بياتريس. إذا كان كلام ريجينا صحيحاً فإن تعليل كراهية المرأة لها أصبح أسهل. وشعرت بالأسف نحو ريموندو. وفجأة، شعرت بالتعب فقالت: «أظن أنّ عليّ أن أستلقي ساعة».

- بكل تأكيد.

وسألتها ريجينا: «هل ستنزلين لتناول الغداء؟ نحن نأكل قرابة الثانية».

كانت الساعة تقارب الثانية عشرة. وقالت لترضي الفتاة: «نعم، سأنزل».

هربت قبل أن تسمع أيّ كلام آخر، وفي غرفتها وقفت لحظات عدة لتتمالك نفسها. كان ارتباكها نفسياً أكثر منه جسدياً وشعرت باستنزاف كلي.

الاستلقاء منحها قليلاً من الراحة، لكن النوم جافاها. وضعت يديها على بطنها تتلمسهاوهي لا تصدق أنها حملت ذات يوم. هل كان الجنين ذكراً أم أنثى؟ هل أجهضت هنا أم في المستشفى؟ وبقي هذا السؤال يدور في ذهنها. ما أكثر ما تريد أن تعرفه!

تملكها شيء من الارتياح وهي تسمع طرقاً خفيفاً على بابها. لعل ريجينا تجهل سبب مغادرتها غواڤادا لكن يمكنها أن تجيب عن بعض أسئلتها. لكن القادم إلى غرفتها لم تكن ريجينا بل لويس ما جدد

توترها.

قال بشكل غير متوقع: «جئت لأعتذر. كان عليّ أن أحذّر ريجينا من أن تذكر هذا الأمر قبل أن تصبحي أكثر قدرة على احتمال الصدمة. اللوم يقع عليّ وليس عليها. كل ما أرجوه هو ألاّ تعاني مزيداً من الألم بسبب التسرّع في إعلامك ببعض الأمور».

اتكأت كارين على مرفقها ونظرت إلى تلك الملامح الجامدة بعينين سرعان ما اتسعتا فجأة بعد أن أدركت أنها ليست الوحيدة التي تعاني من الشعور بالخسارة. إن خسارته ضعف خسارتها... فهو لم يخسر طفله وحسب، بل زوجته أيضاً.

قالت بلطف: «لا بدّ أن ذلك لم يكن سهلاً بالنسبة إليك أنت أيضاً».

أمال رأسه: «كلا. لم يكن سهلاً... رغم أنّ الطبيب طمأننا أن ما من سبب يجعلنا نخاف من تكرر الأمر».

- وهل حاولنا إنجاب طفل آخر؟

- لا، فكرت في أن ننتظر فترة. لو كنت أعلم...

وتوتر فكه مضيفاً: «إنّ ما لا يمكن تغييره، يمكن احتماله».

فقالت بصعوبة: «إذا كنت تقصد أنني كنت على علاقة بلوسيو فيرناندیز، فمن المستغرب أن الشخص الوحيد الذي شكك بوجود هذه العلاقة هو بياتريس».

- لطالما كنتما حذرتين من بعضكما البعض عند اجتماعكما.

وبياتريس نفسها بدأت تشك في هذه العلاقة قبل أيام من رحيلك.

- لا بد أنها حاولت تحذيرك.

هز كتفيه: «ربما لو حاولت، لظننت أنها تحاول الإيقاع بيننا، فزواجنا لم يعجبها قط».

هذا ما أخبرتها به ريجينا من قبل.

استطاعت كارين أن تفهم السبب. أما ما لم تستطع أن تفهمه فهو

كيف تمكّنت، هي وذلك المدعو لوسيو، من أن يبقيا علاقتهما سراً. لو أن لويس يتحقق بنفسه من وجود الاسمين في قائمة المسافرين إلى ريو دي جانيرو ذلك اليوم، لساروها الشك في أن بياتريس لفقت القصة كلها لتحقرها في نظره.

وقالت بتعاسة: «آسفة. أدرك أني أكرر الاعتذار، ولكن هذا كل ما أستطيع قوله. أكره أن أفكر في ما فعلته بك... بزواجنا. كل ما أتمناه هو أن أتمكن بشكل ما من إصلاح الأمور مرة أخرى».

أخذ يتأمل جسمها، كاشفاً عن رغبة هزّتها من الأعماق، ثم نهض وتقدم ليجلس على حافة سريرها ويأخذها بين ذراعيه.

في البداية، جاء ردّ فعل كارين متردداً، إذ لم تكن واثقة من أن هذا ما تريده حالياً، لكن التردد ما لبث أن تحول إلى مشاعر اكتسحتها. ورفعت ذراعيها تحيط عنقه بهما، وتشابكت أصابعها في شعره الكث. وامتلأت خياشيمها برائحة رجولته فتملكتها مشاعر عارمة. إذا كان ذهنها لا يتذكر ما تبادلاه من مشاعر، فإن جسدها لا يعاني من مثل هذه المشكلة.

وعندما لامست يده بشرتها برقة، حبست أنفاسها ثم تأوهت من أعماقها وشعرت بالحرمان عندما ابتعد عنها ثم وقف وقال من دون أن ينظر إليها: «سأجول بك في أنحاء المزرعة بعد الغداء. أما الآن فأنا مشغول».

عندما أغلق الباب خلفه، جلست في سريرها ثم أخذت تحدّق في الباب مصدومة.

لقد تلهفت إلى إحياء الماضي، لكن شبح لوسيو فيرناندیز ما زال يقف حولهما. ربما سيتمكن ذات يوم من أن يتخلص من هذه الصورة التي ما زالت في خياله. إذا أراد لزواجهما هذا أن يثمر، فعليه أن يفعل ذلك. بل عليهما ذلك، معاً.

* * *

لم ترَ بياتريس على مائدة الغداء فقد ذهبت لزيارة صديقة لها، وشعرت كارين بالسرور لغياب المرأة. ثمة أسئلة كثيرة لا يمكن لغير بياتريس أن يجيبها عنها، لكنها كرهت أن تطرح الأسئلة هذه خوفاً مما قد تسمع. كان الحديث مرحاً على الطعام، وسرّت ريجينا لفكرة أن لويس سيأخذ كارين في جولة في المزرعة. لعل هذا طمأنها إلى أن الأمور أصبحت على ما يرام بينهما.

تملك كارين الارتياح عندما استقلا سيارة الجيب. فهي، على حد علمها، لم تركب حصاناً قط في حياتها. سياج المزرعة الذي توقعت رؤيته كان يبعد عن البيت حوالى نصف ميل، ومن خلفه قامت مخازن الغلال وبعض المباني. رأت بعض المستخدمين يتولون أعمالاً مختلفة، ووقف لويس يتحدث مع أحدهم، تاركاً كارين تتململ تحت نظرات أولئك القريبين منه.

ما دام لوسيو فيرناندیز قد عاش وعمل مع هؤلاء الرجال، فمن غير المعقول ألاّ يعلم أحدهم بالعلاقة بينه وبين زوجة مستخدمهم. كان فقدانها لذاكرتها سبب تلك النظرات، فما من أحد في محيط مئة ميل، لم يسمع بذلك.

قالت له بسخرية جافة وهما يعودان إلى البيت: «بدأت أشعر كأنني مخلوق غريب. هذا ما شعرت به أيضاً في المدينة هذا الصباح. كان الناس ينظرون إلي ويتهامسون!».

- قريباً جداً سيصبح هذا منسياً.

ابتسم عندما أدرك ما قاله لتوّه ثم أردف: «هذا يعطي الجملة تأويلاً غير مناسب بالنسبة إلى ظروفك».

وابتسمت كارين أيضاً: «لكن أرجو أن يكون هذا صحيحاً».

وسكتت محاولة أن تجد موضوعاً آخر: «قابلنا امرأة تدعى دونا فيريز هذا الصباح في المدينة. عرضت عليّ أن تقيم حفل شواء يوم الأحد لكي تمكّنني من مقابلة الكل مرة واحدة».

نظر إليها: «هذه فكرة جيدة منها، ما هو شعورك حيال ذلك؟».

- متوترة الأعصاب، ولكن لا فائدة من إظهار ذلك. على الأقل ليس بينهم من...

وسكتت فتابع كلامها بهدوء: «ليس بينهم من يعرف سبب وجودك في ريو دي جانيرو. هذا سؤال قد يوجّه إليّ أنا».

- يمكنك أن تقول إنني كنت أتسوّق.

فلوى شفتيه: «ما من شيء في ريو دي جانيرو لا يمكنك الحصول عليه في سان باولو. لكن للنساء نزوات غير منطقية».

أوقف السيارة عندما برزت مجموعة من الفرسان واتجهت نحوهما. تقدم قائدها من سيارتهما من دون أن يترجل عن حصانه. كان ذا مظهر محترم، وسيماً في الثلاثين من العمر، رشيقاً وأنيقاً في ملابس العمل الشبيهة بالملابس التي كان لويس يرتديها منذ فترة.

بقيت كارين تنظر إلى الأمام بينما أخذ الرجلان يتحدثان. إذا كان هذا الرجل رئيس عمال المزرعة، فلا بدا أنه الرجل الذي استخدم لوسيو فيرناندیز. من الواضح أن لويس لا يلومه. ولكن لماذا يلومه؟ وكيف يمكن للرجل أن يتنبأ بما سيحدث؟

وعندما افترق الرجلان، قالت كارين بفتور: «أريد أن أعود إلى البيت، فقد بدأت أشعر بصداع».

لم يكن كذبة كبيرة، لكن القلق البالغ الذي أبداه لويس جعلها تشعر بالذنب لخداعها له.

قال: «طبعاً. كان عليّ أن أدرك أن الركوب في سيارة جيب متعب لك».

لم يكن لسيارة الجيب أيّ دور في ما يؤلمها، لكنه عذر كافٍ. وأغمضت عينيها بينما أخذ يستعد ليعود إلى البيت، آملة أن يفهم الإشارة فلا يحاول أن يكلمها. كانت تشعر بانحطاط بالغ.

لدى وصولهما إلى البيت، أشار إليها بأن ترتاح فصعدت إلى

غرفتها من دون اعتراض، شاعرة بالرغبة في الانفراد لتتمكن من تمالك نفسها.

الألم الخفيف خلف عينيها لم يمكّنها من التفكير بوضوح.

عندما يرفض ذهنها كشف الغطاء عن ذكريات الأشهر الماضية، عليها أن تتقبل الأمر مهما بلغ أسفها أو حزنها.

كانت تجلس إلى النافذة تتأمل غروب الشمس، عندما سمعت نقراً على بابها، ودهشت عندما رأت بياتريس تدخل، وليس لويس كما ظنت.

أغلقت المرأة الباب واستندت إليه وراحت تحدّق فيها متصلبة الملامح ثم سألتها بخشونة: «ماذا تتوقعين أن تربحي من هذه التمثيلية؟».

أجابت كارين بحزم تخفي به اضطرابها: «هذا ليس تمثيلاً، فأنا لا أتذكر شيئاً مما حدث في الأشهر الماضية. لماذا تشكّين في ذلك؟».

فأجابت المرأة بعنف: «لأنني أعرفك... إذا كنت تأملين...».

وسكتت فجأة وهي تعض شفتها وكأنها أوشكت أن تقول شيئاً لم تخطط له، ثم عادت تقول: «كان لويس أحمق حين تزوجك!».

- ربما كان هذا الزواج حماقة من كلا الطرفين. أخبرني لويس أنك شككت في وجود علاقة بين لوسيو فيرناندیز وبيني.

لم تستطع أن تحدد التعبير الذي بدا على وجه المرأة في الضوء الخافت. وعندما جاء الجواب كان بلهجة رقيقة: «نعم».

- لماذا لم تخبريه إذن؟

أجابت المرأة بعد لحظة صمت: «لأنه لم يكن لدي دليل ثم خفت من رد فعله. لم يكن لدي أيّ خيار سوى أن أخبره عندما رحلت أنت».

وعاد صوتها إلى خشونته: «كان عليه أن يدعك ترحلين! لم تستحقي قط أن تحملي اسم أندراد!».

حاولت كارين جاهدة أن تتمسك بكرامتها وهي تقول: «هذا ما يبدو. ولسوء الحظ، لويس لا يؤمن بالطلاق».

- لكنه أيضاً لا يستطيع أن يبقيك هنا رغماً عنك.

كان الضوء قد تلاشى تقريباً، فأضاءت كارين المصباح الموجود بجانب السرير، ثم حدقت في المرأة مقطبة: «أتقترحين عليّ أن أرحل مرة أخرى؟».

- هذا هو السلوك الوحيد الجدير بالاحترام. كيف تتوقعين من لويس ألاّ يشعر نحوك بالاشمئزاز بعد ما فعلته؟ ما هو نوع الحياة التي ستحكمين به عليه ببقائك هنا؟

- وأي نوع من الحياة عليّ أن أتوقّعه إذا ما فعلت ما تقترحينه عليّ؟ ليس لديّ بيت، أو عمل، حتى أنني لست واثقة من أن لدي ما يكفي من النقود لأعود إلى وطني.

كانت كارين تتكلم وهي تجاهد لتمالك مشاعرها، فقالت بياتريس: «يمكنني أن أساعدك في هذا المجال».

كان الجواب من السرعة بحيث تبيّن أنها فكرت فيه مليّاً، ما جعل الاشمئزاز يتملكها فوقفت لتواجه المرأة قائلة بعنف: «لماذا؟ فسواء حصل الطلاق أم لم يحصل، لن يقصدك لويس أبداً لالتماس العزاء والسلوى».

وعندما همّت بياتريس بأن تتكلم، هزت كارين رأسها بعنف: «هذا يكفي. أخرجي من هنا، واعلمي أني باقية».

عكست ملامح المرأة الجميلة أمامها غضبها الشديد ما جعلها تبدو بشعة، ولمعت العينان البنيتان بالكراهية، قبل أن تخرج فجأة، صافقة الباب خلفها.

عادت كارين إلى مقعدها شاعرة بالخجل لاندفاعها ومقابلتها الأذى بالأذى.

غداً هو اليوم السبت، ويمكنها أن تجد صديقتها جولي في البيت.

غداً ستسأل صديقتها، رغم كرهها لذلك. فهي تريد أن تعرف حقيقة ما أخبروا به صديقتها. عندئذ، قد تصدّق أنها كانت على علاقة برجل آخر غير زوجها.

www.elromancia.com

٥ ـ سيرك مدى الحياة

التوقيت في البرازيل يختلف بحسب المناطق، كما أخبرها لويس على العشاء عندما سألته. إذا اتصلت بجولي فستجدها على الفطور. ثمة ليلة أخرى عليها أن تمضيها.

لم يتحرك لويس عندما وقفت لتخرج بعد انتهائهما من تناول الطعام. بدا شارد الذهن، ولا عجب لذلك، فهو ما زال يجد صعوبة في الاعتياد على تبدل أحوالهما.

أما متى سيتمكن من نسيان خيانتها، فهذا ستتركه للأيام... وقد لا يحدث أبداً. لكن إذا ما أثبتت هي عدم صحة ذلك، فيمكنهما أن يستعيدا ما فقداه.

لكن كيف يمكنها ذلك بينما كل ما لديها هو غريزتها؟

وعندما قصد سريره، كانت لا تزال مستيقظة. سمعت حركته في الغرفة المجاورة. حاولت فتح الباب الذي يفصل بينهما فوجدته غير مقفل، لكنها شككت في أن يكون هو من فتح القفل.

خطر لها أنها ريجينا، فأخته الصغرى مستعدة لفعل أي شيء لتعيدهما إلى بعضهما البعض.

قسم منها تلهّف إليه، لكن الخوف من رفضه كان أقوى. فالخطوة الأولى تعود إليه. أما الآن، فكل ما يمكنها أن تفعله هو مواجهة مشاعرها وكبتها.

كان الصباح ماطراً. انهمر المطر مدة ساعة ليتوقف فجأة كما بدأ. وقفت كارين في الشرفة تنظر إلى السماء التي ما زالت السحب

تغطيها، متسائلة عما إذا كان المطر سينهمر مجدداً.

قال لها لويس: «سيصحو الجو. بعد فترة قصيرة ستشرق الشمس في السماء، ويبدأ البخار بالتصاعد من الأرض. الرطوبة محتملة هنا، أما ريو دي جانيرو فتصبح عند تساقط المطر أشبه بحمام البخار».

قالت كارين وقد تذكرت الصدمة التي شعرت بها حين خروجها من المستشفى لأول مرة: «الجو هنك سيء جداً».

ثم أردفت: «لا أستطيع أن أتصور كيف يستطيع الناس أن يعملوا في مثل ذلك الجوّ الحار!».

فقال: «المكاتب تحتوي على مكيّفات هواء، أما الذين يعملون خارج المكاتب فقد اعتادوا على الطقس. هل ستتصلين بصديقتك اليوم؟».

- حالما أظنها استيقظت من النوم. هل لديك اعتراض؟

ألقت عليه نظرة جانبية غير واثقة من مزاجه.

لكن وجهه بقي جامداً وهو يقول: «ولماذا أعترض؟ قد تتمكن من مساعدتك على التذكّر».

خلال الليل، شككت في أن تكون قد أخبرت جولي عن علاقتها، فهي تعلم ما سيكون عليه رد فعل صديقتها. كل ما كانت ترجوه هو أن تخبرها جولي بما يلقي ضوءاً على الأمر.

كانت بقية الأسرة قد تفرقت، تاركة إياهما وحدهما. لم تقل بياتريس شيئاً يُذكر هذا الصباح، رغم أن موقفها منها لم يتغير. ونبذت كارين المرأة من ذهنها، فلديها، حالياً، اهتمامات أخرى.

جلس لويس على مقعد في الشرفة مادّاً ساقيه أمامه. بدا مسترخياً في الظاهر، لكنها شعرت بتوتره في الداخل.

سألته مترددة: «ألن تعمل طوال هذا النهار؟».

- أنا لا أعمل كلما شئت ذلك. مراقبو عمالي لا يحتاجون إلى

من يراقبهم.

والتفت إلى وجهها لتستقر عيناه على فمها لحظة قبل أن يقول: «جراح وجهك تلتئم بسرعة، وهذا لا يعني أنها أثرّت في جمالك حتى في أسوأ حالاتها. أنا لا ألوم رجلاً يرغب فيك، لكنني سأقتل من يحاول أخذك مني. كما سأفعل بلوسيو فيرناندیز عندما أراه».

كان يتحدث بلهجة عادية، لكن العنف ظهر في أعماق عينيه.

- إذا كنت على علاقة به، فهذا ذنبي بقدر ذنبه.

فقال بخشونة: «أتقولين (إذا)؟ ما الذي جعلكما ترحلان معاً؟ وما الذي جعلك ترحلين أساساً؟».

ردّت بتعاسة: «لا أدري. وفقاً لما أخبرتني به في المستشفى، كانت الأمور طبيعية في زواجنا حتى الليلة التي سبقت رحيلي. لكنني واثقة من أن ذلك ما كان ليحصل لو... كنت على علاقة برجل آخر».

- أتعنين أنك ما كنت لتتجاوبي معي؟.

شعرت بسخونة تسري في كيانها من جراء تحديقه الساخر فيها. مهما كانت الظروف، لن يجد صعوبة في إثارة رغباتها، وهو يفعل ذلك الآن حتى من دون أن يحاول... ما جعلها تحن إلى ما لا تستطيع أن تتذكره.

قالت: «بل عنيت أن الأمور ما كانت لتبدو طبيعية لو... لو كنت على علاقة برجل آخر».

فقال بعد تردد: «كنت تبدين أحياناً منطوية على نفسك، فظننت أنّ السبب عائد إلى خسارتك للجنين. ولكن، لعلي كنت أخدع نفسي».

ثم أردف وهو يقف: «مهما يكن، حدث هذا في الماضي وقد انتهى، وما علينا أن نواجهه الآن هو الحاضر. سأتركك الآن لتجري مخابرتك».

لم يحن الوقت بعد، لكنها لم تقل له ذلك رغم أنها كرهت البقاء

وحيدة مع أفكارها. نظرت إليه وهو يقطع الغرفة بخطوات واسعة رشيقة فشعرت بإلفة سريعة لحركاته هذه.

كانت لا تزال متشوقة إلى زوجها عندما جاء ريموندو وجلس معها، هو يقول: «ما كان ينبغي أن تجلسي وحدك مع تأملاتك. لا سيّما في حالتك هذه».

نظرت إليه بحيرة: «حالتي؟».

- أعني فقدانك لذاكرتك. لا بد أن هذا صعب عليك.

- إنه صعب على كل إنسان، ما عدا ريجينا فهي لن تسمح لهذا بأن يحدث لها.

وأتبعت كلامها بابتسامة خفيفة.

- أختي شغوف بك منذ وصلت إلى غواڤادا، مثلها مثل الجميع هنا.

سمحت كارين لنفسها بأن تسأل بنبرة سخرية: «الجميع؟».

- من المؤسف أن زوجتي سمحت للغيرة بأن تسيطر عليها. كانت، قبل وصولك...

وعندما سكت متردداً أكملت كلامه: «ملكة النحل؟».

بدا عليه الارتباك: «كانت ربة المنزل. وتسليمها تلك المسؤولية لك كان صعباً عليها».

- كان عليها أن تدرك أن لويس سيتزوج يوماً ما.

قالت هذا وهي تتساءل عما إذا كان ريموندو لا يدرك حقيقة مشاعر زوجته، كما قالت ريجينا.

- ربما كان ليتزوج امرأة ترضى بأن تدع الأمور على حالها.

- ولم أكن أنا تلك المرأة.

فابتسم: «لا، كما لا أظن أن لويس يفضّل أن تكوني كذلك. لقد أحب حيويتك بقدر ما أحب جمالك. و...».

وسكت فجأة، ثم هز رأسه بأسف: «إنني أتحدث بصيغة الماضي.

www.elromancia.com

لويس ما زال يحبك. أنا واثق من ذلك».

- هل أفهم من هذا أن بياتريس لم تذكر شكوكها لك أيضاً؟

بدا عليه الارتباك مرة أخرى: «لا. لم تخبر أحداً حتى أدرك لويس أنك رحلت. لقد غضب لأنها كتمت الأمر عنه، ولكن لم يكن لديها سوى الشكوك».

- غريب ألاّ يكون لدى أي شخص آخر فكرة عن الأمر.

فقال: «النساء مشهورات بحدسهن».

تركت كارين الأمر عند هذا الحد فكلما سمعت المزيد كلما زاد شكها. لكن هذا يمنحها شيئاً من الأمل على الأقل.

ورغم شكها في أن تتمكن جولي من مساعدتها، إلا أنها ما زالت ترغب في أن تتصل بها، فهي الصلة الوحيدة بينها وبين الوطن.

قالت وهي تنهض واقفة: «هل يمكنني الاتصال مباشرة إلى إنكلترا؟».

- نعم، شرط أن تعرفي رمز بلادك. قد تجدين صعوبة في الاتصال لأن الخط مشغول غالباً.

- سأتدبر أمري.

صعدت إلى غرفتها من دون أن تصادف أحداً، ثم أغلقت الباب خلفها وتوجهت نحو الهاتف.

آخر مرة تحدثت فيها إلى جولي بحسب ما تذكر في اليوم السابق لاستيقاظها في المستشفى. لكنها في الواقع، لا تعرف فعلاً متى كان ذلك.

وكما نبهها ريموندو، تطلب الأمر وقتاً وجهداً. وحتى عندما حصل الاتصال، بدا وكأن وقتاً طويلاً مضى قبل أن ترفع السماعة ليأتيها صوت ناعس من الجانب الآخر: «ألا يمكن لأحد أن يستغرق في نومه صباح الأحد؟».

فقالت كارين بسرعة: «هذا أنا يا جولي، آسفة لسوء التوقيت».

جاء صوت جولي في منتهى اليقظة: «لا بأس. كيف حالك يا [illegible]؟ لم تتصلي بي منذ وقت طويل. معظم الذنب ذنبي أنا، فقد [illegible] مكان عملي ما منعني من أن أجيب على آخر اتصال لك. على [illegible] حال، كيف تسير أمورك؟ أما زلت مجنونة بحب ذلك البرازيلي [illegible] الطويل العريض؟».

- طبعاً.

كان هذا كل ما استطاعت كارين أن تقوله. بدا واضحاً أنها لم [illegible] صديقتها شيئاً ما يعني أن لا فائدة من أن تخبرها بفقدانها ذاكرتها [illegible] بلهجة عرجاء: «فكرت في أن أتصل بك لمعرفة أحوالك. لا [illegible] أنني أخطأت في حساب فرق التوقيت».

- ذنبك مغفور. كيف حال الطقس لديكم؟ الطقس هنا ماطر.

آخر ما أرادته كارين هو أن تتبادل معها أحاديث تافهة عن الطقس، [illegible]: «إنه حسن. هل وظيفتك الجديدة جيدة؟».

- بالتأكيد. لقد تعرفت إلى أروع رجل! لا مجال للمقارنة بينه [illegible] لويس زوجك طبعاً. ولكن يبدو أننا محظوظتان في الحب! عليّ [illegible] أقول إني ظننتك مجنونة عندما اتصلت بي قائلة إنك لن تعودي أبداً [illegible] البرازيل. من ناحية أخرى، ظننتك كذلك حين أنفقت كل ما [illegible] من نقود على رحلة إلى البرازيل، لكنني الآن مسرورة للغاية لأن [illegible] سارت على ما يرام.

وسكتت لحظة وكأنها تتوقع جواباً، ثم عادت تقول بتغيّر بسيط في [illegible]: «كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟».

إذا كان لدى كارين أيّ تردد، فقد تبدّد الآن. فقالت: «طبعاً. إنه [illegible] أحسن ما يمكن أن يكون. أنا سعيدة حقاً لأنك وجدت الرجل [illegible]، يا جولي. وأرجو أن تنجح علاقتكما».

ثرثرت الاثنتان في مواضيع مختلفة، واتفقنا على الاتصال [illegible] بانتظام من الآن فصاعداً. بعدئذ، وضعت كارين السماعة

بقلب مثقل، متوقعة أن تستمر صداقتهما في التدهور.

ما ينبغي أن تركز عليه الآن هو إعادة بناء العلاقة التي دمّرتها بهربها. ومهما كان سبب رحيلها، فلويس، بحسب ريموندو، ما زال يحبها. ولكن كيف عرف ذلك؟ فمن غير الممكن أن يفضي لويس بمشاعره إلى أحد.

لا يمكنها أن تقنعه بأن تلك العلاقة لم تكن موجودة من دون دليل! وهي نفسها غير مقتنعة بذلك تماماً. لذا، كل ما يمكن أن تفعله هو أن تحاول محو الألم. وإذا اقتضى الأمر فستضع كبرياءها جانباً، وستحاول إعادة هذا الزواج إلى الطريق القويم بأي طريقة.

أمضت النهار وقد تملكتها حمّى التوقع التي ترافقت مع التوجس. والرغبة، تغلبت على فقدان الذاكرة. وهي... هي متلهفة لأن تتذكر ما كانت تشعر به بين ذراعيه.

أما مدى عمق مشاعرها نحوه، فهذا ما لا يمكنها إدراكه، رغم أنه من غير المحتمل أن تكون قد تزوجته بدافع الرغبة وحدها... مهما كانت المشاعر معه رائعة.

من ناحية أخرى، حتى لو تبيّن أن شكّها في صحة اتهامها بالخيانة صحيح، فما زال عليها أن تعرف السبب الذي جعلها تتركه.

إذا لم تشأ أن تجن، فعليها أن تضع كل شيء جانباً، وتبدأ من جديد.

كان العشاء مناسبة مريحة بغياب بياتريس وزوجها ريموندو اللذين لبيا دعوة على العشاء... أو ربما كان العشاء ليصبح كذلك لولا أنها ليست على أحرّ من الجمر لتنفيذ خطتها الأخيرة. اصطدمت يدها بكأس الماء فانسكب السائل على الطاولة.

وبعد أن مُسح الماء قال لها لويس: «يبدو عليك التوتر. هل عاودك الصداع؟».

- لا، رأسي بأحسن حال. لكني حركتي ثقيلة وحسب.

فتدخلت ريجينا قائلة: «هذا يحدث معي أنا أيضاً أحياناً. فقد أهرقت ذات مرة كأساً من العصير على ثوب ضيفة، ما أغاظها غيظاً بالغاً».

وأخذت تقهقه بصوت خافت فيما ردّ أخوها بجفاء: «هذا مفهوم... فقد تلف ثوبها».

وسألت كارين: «متى علينا أن نكون في حفل الشواء غداً؟».

- في أي وقت اعتباراً من الظهر. يحضر الناس عندما يشعرون برغبة في ذلك، لأن الطعام يُطهى طوال النهار، وعليك ألا تقلقي فسيسعى الكل لئلا تشعري بالارتباك.

غداً، ستسمع أسماء كثيرة عليها أن تطابقها مع الوجوه، ورجت أن يتمكن الكل من التحدث قليلاً بالإنكليزية، لأن ذاكرتها لم تستعد مما تعلمته من اللغة البرتغالية سوى القليل.

شعرت بعيني لويس عليها تخترقان دفاعاتها، فيما كانت واعية لطوله ورشاقته وعرض كتفيه ورائحة رجولته.

ومرة أخرى، ألقى عليها لويس تحية المساء عندما أعلنت عن نيتها الانسحاب قرابة الحادية عشرة. توجّهت كارين إلى غرفتها وهي في حال من التوتر. أربعة أيام فقط مرت منذ استيقظت على كل هذا في المستشفى. لم تنكر الرغبة التي أيقظها لويس فيها. لكن هل يكفي هذا وحده؟ وهل كان دوماً كافياً؟

وفيما كرهت فكرة أنها تزوجته لهذا السبب السطحي فقط، وجدت أنّ عليها أن تواجه إمكانية أن يكون غياب المشاعر العميقة نحوه هو ما جعلها تهرب وتسعى وراء حريتها.

أما أن يكون هذا السبب هو ما جعلها تبحث عن علاقة مع رجل آخر، فهذا ما رفضت التفكير فيه. مهما كان سبب وجود لوسيو فيرناندیز على تلك الطائرة، فهو لم يكن معها. وهي واثقة من ذلك.

كانت في السرير، وقد جافاها النوم، عندما دخل لويس إلى

غرفته. أخذت تصغي إلى الأصوات الخافتة، تنتظر الصمت الذي يشير إلى أنه أصبح في سريره.

ومضت نصف ساعة أخرى قبل أن ترغم أطرافها أخيراً على الحركة، طاردة الشكوك من ذهنها. لا بد من اتخاذ خطوة ما فلا يمكنها الاستمرار بهذا الشكل. إن لم تحبه بشكل عميق من قبل، فهي تستطيع أن تتعلم ذلك الآن.

وثلاثة أشهر فقط ليست كافية لذلك.

فتحت الباب بما أمكنها من هدوء. كانت غرفته مظلمة لكن ضوء القمر أضاء السرير في الجانب الأبعد. ترددت كارين على العتبة، مقاومة دافعاً إلى العودة من حيث أتت. وخنقت شهقة حين انقلب لويس ثم انتصب جالساً وهو يسألها: «ما هذا؟ هل أنت مريضة؟».

ردّت بصوت أجش: «لا. فكرت... أردت...».

وأخذت نفساً آخر عندما مدّ ذراعه ليضيء المصباح: «لا تشعل النور، رجاءً».

عادت ذراعه إلى مكانها، على الملاءة البيضاء التي تغطي النصف السفلي من جسده. عندما مال إلى الأمام، رأت أن نصفه العلوي عاري. فتسارعت دقات قلبها.

قال بعد لحظة: «ماذا تريدين؟».

فأجابت قبل أن تفقد شجاعتها: «أنت. أريدك أنت يا لويس!».

لم يقم بأيّ رد فعل. بدا جلده أشبه بحرير مدهون بالزيت في ضوء القمر. كان يحدق فيها، وعندما تكلم، بدا صوته منخفضاً متزناً: «ماذا؟»

أخذ ذهنها يبحث عن جواب لهذا السؤال غير المتوقع. إن الجواب واضح وانفجرت تقول: «أكاد أجن لأنني لا أستطيع أن أحتمل دقيقة أخرى! أدرك كم هو صعب عليك أن تعتقد أنني عرفت رجلاً آخر. أعلم أنك لن تصدقني عندما أقول إنني واثقة من أنني لم

أعرف أيّ رجل آخر».

- وكيف تعلمين؟

- أنا أعلم وحسب. سمّه غريزة! سمّه ما تشاء!

طال صمته ولم يكشف وجهه عن شيء ثم قال أخيراً: «هل تقولين إن بياتريس كانت تكذب؟».

كبحت الكلمات، مفضلة عدم التطرّف: «أو لعلها مخطئة».

- كيف تفسرين إذن وجود اسم فيرناندیز على قائمة المسافرين؟

- لا أستطيع. لا أستطيع أن أفسر سبب وجودي أنا على تلك الطائرة، فكيف أفسر سبب وجوده؟ وقد لا نعرف أبداً. ولكن إذا كنت سأبقى هنا...

فقاطعها: «ما من حلّ آخر».

بسطت كفيها وقالت: «جميل. أنا أقبل بهذا. ولكن علينا أن نسعى إلى تصحيح الأمور بيننا. إذا خذلتني الآن...».

- أتظنينني قادراً على ذلك؟

وألقى بالملاءة التي تغطيه جانباً، كاشفاً عن جسده. فشعرت بعضلات معدتها تتشنج.

قال بنبرة رقيقة: «أنت محقة. ليس أمامنا إلا أن نمحو الماضي من ذهننا، تعالي».

تقدمت من السرير وقلبها يخفق بين أضلعها.

تكلّم بلغته. كانت الكلمات غريبة في أذنيها، ومع ذلك مفهومة. وعندما مدّ يديه إليها، ألقت بنفسها بين ذراعيه.

ولم تشعر بتحفظ في إظهار أحاسيسها، وفي مبادلته العناق.

شعرت وهي بين ذراعيه وكأنها في الجنة، همست عندما استطاعت أن تتكلم، وقد عجزت عن أن تصدّق قوة مشاعرها: «هل الأمر دوماً بهذا الشكل بيننا؟».

رفع رأسه ونظر إليها بعينين أشبه ببحيرتين لا يُسبر غورهما في هذا

الضوء الخافت: «ليس تماماً».

- أتعني أنه كان عليك أن تعلمني كيف... أتجاوب معك؟

- حاولت أن أحررك من الكبت الذي يغطي طبيعتك الحقيقية.

ورفع يده يزيح شعرها عن وجهها، ثم يلامس خدها ببطء.

- متى قررت أنك تريد أن تتزوجني؟

فابتسم: «منذ اللحظة التي رأيتك فيها، أصبحت أسيرك مدى الحياة».

- أحقاً؟

- نعم.

بقيت كارين صامتة للحظة، محاولة أن تخترق الضباب الذي يغلف ذاكرتها. ولكن من دون جدوى. إذا كان ما شعرت به نحو هذا الرجل قبل أن تفقد ذاكرتها مجرد رغبة جسدية، وهذا ما لا تستطيع أن تحكم عليه بعد، فإن ما تشعر به حالياً هو حتماً أكثر من ذلك.

قالت بلهجة حميمة: «لا يمكن أبداً أن أهتم برجل آخر وأنت معي! عليك أن تصدّق هذا يا لويس».

فقال بحزم: «لقد اتفقنا على أن نضع هذا الموضوع جانباً، إلى أن تستعيدي ذاكرتك».

وإذا لم تستعد ذاكرتها، فلن يكون هناك جواب عن هذا السؤال. وهمس لها صوت في أعماقها: سواء أكانت على علاقة بأحد أم لا، ثمة ما جعلها ترحل.

وصرفت هذه الفكرة من ذهنها عندما انحنى لويس ليعانقها.

بدا واضحاً من طريقة ريجينا في إمعان النظر على مائدة الفطور، أنها لاحظت الفرق في وضعهما هذا الصباح. ومن نظرات بياتريس نحوهما بدا أنها هي أيضاً لاحظت ذلك، ولم يسرّها هذا على الإطلاق.

أرغمت كارين نفسها على أن تتجاهل هذه النظرات. شفاء ذاكرتها

قد يؤذيها على المدى الطويل، وما لا تعرفه قد يؤلمها. قالت: «عليّ أن أتعلم اللغة مرة أخرى. يبدو أنني لم أجدها صعبة كثيراً من قبل. أظنني واحدة من قلائل عليهم أن يفعلوا ذلك مرتين!».

وضحكت. فرد لويس: «من الممكن أن تكون أذنك قد اعتادت عليها».

فقالت ريجينا بلهفة: «سأساعدك قدر إمكاني. مثل (صباح الخير)، (مساء الخير) كما أنك...».

قال لويس بجفاء: «أظن أنّ كارين تعلمت الأمور الأساسية».

أحنت ريجينا رأسها وتمتمت مخاطبة أخيها بالبرتغالية معبّرةعن أسفها، وطالبة المعذرة من كارين.

فقالت كارين: «لا يوجد ما يستوجب الاعتذار أو الأسف. ومرحباً بأي نوع من المساعدة».

- أردت فقط أن أقول إنك لست بحاجة لأن تحيي الناس الذين سبق وعرفوك من قبل بشكل رسمي. كلمة «أولا» تكفي.

ونظرت إلى أخيها.

وتساءلت كارين عما إذا كان بإمكانها أن تلفظ هذه الكلمة بشكل صحيح. ما زالت تشعر بالقلق من فكرة مقابلتها كل أولئك الذين تتكلم عنهم ريجينا. لكن على هذا أن يحصل. على الأقل لا أحد منهم يعلم ما الذي كانت تفعله في ريو دي جانيرو.

وما لبثت أن طردت هذه الأفكار من ذهنها. لم يظهر ريموندو أو بياتريس أي اهتمام بحضور حفل الشواء وشعرت كارين بفروغ صبر شقيق زوجها ريموندو الذي يبدو تحت سيطرة زوجته والذي يختلف عن أخيه لويس من حيث الصفات.

كان منزل آل «فيريز» ڤيلا من طابق واحد، مبنية على أرض خضراء. وكانت النساء ترتدي ملابس بسيطة كما نصحتها ريجينا أن تفعل.

ساد بعض الارتباك، لكن كارين توقعت ذلك. فمن المستحيل أن يواجه أيّ شخص وضعاً كهذا بهدوء واتزان. لقد اختلطت بهؤلاء الناس مدة ثلاثة أشهر ولا شك أنها استضافتهم في غواڤادا. ومع ذلك لم تميز أي اسم أو وجه.

كما زاد الطين بلة أنهم لا يتحدثون الإنكليزية كلهم.

في البداية جلس لويس بجانبها، كما بذلت وحاولت هي جهدها لمواجهة الوضع. لكن أحد الرجال سرقه منها ليتناقشا في مسائل العمل. وتفاقم الفزع في داخلها، فهؤلاء الناس غرباء تماماً بالنسبة إليها. كيف يمكنها أن تتصرف في وضع كهذا وهي التي لا تفهم ما يقولونه؟

وإذ خافت أن تخسر ما تبقى لديها من اتزان، بحثت عن زاوية هادئة في الحديقة لترتاح فيها. وجدت مقعداً خشبياً فجلست عليه ثم رفعت عينيها إلى الشمس وسرعان ما أغمضتهما تحميهما من الوهج. شعرت وكأن رأسها محشو بالقطن.

سمعت صوتاً يسألها: «ألا تشربين شيئاً؟».

فتحت عينيها مكرهة فرأت رجلاً يحمل زجاجة عصير وكأسين. لا بد أنه تبعها. وحاولت أن تتذكر اسمه، جورج أرويو إذا لم تكن مخطئة. كان في مثل سن لويس وبالغ الوسامة. لقد لفت انتباهها إعجابه البالغ بنفسه. أجابت: «شكراً. أردت فقط أن أمضي بعض الوقت وحدي».

فقال: «أنا متعاطف معك ومع لويس أيضاً. لقد حسدناه حين أحضرك في البداية إلى هنا. لكنني أظنه يفضل أن تتركيه من أجل رجل آخر، على أن يُلغى من ذاكرتك كلياً».

ظنت للحظة أنه يشير إلى لوسيو فيرناندیز، واستطاعت في آخر لحظة أن تمنع نفسها من إنكار تلميحه.

فقالت: «ما زلنا معاً، على الأقل».

- ولكن هل سيكون الأمر هو نفسه بالنسبة إليك؟

رفعت كتفيها: «بما أنني لا أتذكر كيف كان الوضع من قبل، لا أستطيع الجواب عن هذا السؤال. لغتك الإنكليزية ممتازة».

قالت هذا لتبعد الحديث عن الأمور الشخصية. فأجابها: «كنا نتحدث البرتغالية منذ وقت قصير. يا لخدع الدماغ الغريبة».

أزعجتها(كنا) لدلالتها على أنهما اعتادا أن يجتمعا ويتحدثا. شيء ما في هذا الرجل أثار فيها حذراً غريزياً.

برز لويس من خلف أجمة قائلاً بتوتر: «كنت أبحث عنك. هل أكلت؟».

هزت رأسها باستياء وهي ترى غضبه: «لم آكل بعد».

- تعالي معي إذن.

وقفت على الفور لما رأته من انزعاج لويس من وجود هذا الرجل هنا.

سألها لويس أثناء سيرهما: «لماذا تركت الآخرين؟».

- كنت بحاجة إلى بعض الراحة.

- هل لحق بك جورج؟

نظرت إلى ملامحه العابسة، وكرهت أن تستمر في الدفاع عن نفسها لكنها شعرت بالحاجة إلى تهدئة الجو بينهما: «لم أطلب منه أن يرافقني. هل لديك شيء ضده بالذات؟ أم أنه مجرد شعور بالنفور؟».

- يكفيك أنّ تعلمي أنّ هذا الرجل ليس موضع ثقة.

أدركت كارين أنه لن يقول المزيد وعلى أيّ حال، لم يكن يهمها أن تعرف المزيد.

كان الطعام ممتازاً. وكانت قطع اللحم كبيرة كما لم ترها في حياتها! وتساءلت إن كان اللحم من مزرعتهم غواڤادا.

وعندما سألت لويس عن ذلك قال لها إن أغلب لحوم مزرعتهم تصدّر إلى الخارج: «لكننا فعلاً نزوّد المناطق المحيطة بنا باللحوم.

www.elromancia.com

ثمة مسلخ صغير في المدينة».

أجفلت بشكل إرادي فقابل ردّ فعلها هذه بابتسامة جافة: «إنها سنّة الحياة، فعدا عن اللحم الذي نتناوله، هذا الحذاء الذي تنتعلينه من جلودها».

- أعلم هذا. وأعلم أيضاً أن من الحماقة أن أشعر بالغثيان لذكر ذلك، لكنني...

- لكن حب الإنكليز للحيوانات يشمل كافة أنواعها.

وسكت لحظة فيما راح ينظر إليها بغموض: «ربما تريدين حيواناً تدللينه؟».

وبما أنها تدرك مدى التوتر الذي لا زال بينهما، فوجئت بهذا العرض. وقالت: «أحب أن يكون لدي كلب. لطالما اقتنى والداي كلباً».

- سنرى ما يمكننا أن نفعله في هذا الشأن. ولكن عليك أن تعلّميه أن يبقى بعيداً عن النهر فالتماسيح لا ترحم أحداً.

- إذا كان النهر يعجّ بالتماسيح، فعليّ أن أبقى بعيدة عنه.

قالت هذا وهي تدرك كم عليها أن تعاود التعلّم عن حياتها هنا. وسألته: «ومما عليّ أن أنتبه منه أيضاً؟».

- حيوان الكونغار، والحية الخشخاشة.

وابتسم للنظرة التي بدت في عينيها: «أنا أمزح معك. قليلون هم الذين يواجهون مثل هذه الحيوانات التي تسرّع دقات القلب».

رفع قدمه ووضعها على حافة حوض الأزهار، فبدا السروال القصير مشدوداً على فخذه المفتول العضلات.

كان هو نفسه قادراً على جعل دقات القلب تتسارع، وشعرت بالمشاعر تثور في داخلها.

قال بلطف: «حان وقت العودة إلى البيت».

سألته: «ماذا عن ريجينا؟».

- هناك من سيرافقها إلى البيت.

لم تحتجّ الدونا فيريز عل خروجهما المبكر، وتقبّلت عذر كارين التي بدت متعبة. لقد جاءا إلى الحفل بالسيارة الفسيحة التي أحضرتها من المطار منذ أيام قليلة فاستقلاها عائدين.

كانت كارين تنتظر الساعة أو الاثنتين القادمتين بشوق متزايد. فمهما كان ما ينقص هذا الزواج، لا شيء يمكنه أن يسلبهما هذا، أبداً...

www.elromancia.com

٦ - وارتفع الضباب

رغم أن علامات الشفاء من فقدان الذاكرة لم تظهر على كارين، إلا أنها وجدت نفسها تتعلم أسس اللغة البرتغالية بشكل أسرع بكثير مما توقعت. كانت البرتغالية البرازيلية تختلف كثير عن البرتغالية الأوروبية، إذ أُدخلت إليها كلمات هندية عامية وكلمات اللغات الأفريقية التي كان العبيد يتكلمونها في الماضي.

- هل استطعت قط أن ألفظ الأحرف الصوتية؟

طرحت هذا السؤال على لويس ذات مساء، وقد تملكها الإحباط بعد محاولات عديدة فاشلة للفظ بشكل صحيح.

- ليس تماماً، لكن هذا سيحصل مع الأيام. كل شيء يصبح أسهل مع مرور الأيام.

قال الجملة الأخيرة وقد علت وجهه سحابة.

وخطر لها أنّ أمراً وحيداً لم يستطيعا وضعه جانباً... قالت: «ربما كان من الأفضل لنا، لو لم أربح قط تلك النقود... لو لم نتعارف قط».

هز رأسه وأجاب: «لا فائدة من هذا الكلام. علينا أن نعيش مع ما لدينا».

كانت تسرّح شعرها عند طاولة الزينة، فراحت تنظر إليه في المرآة وهو يندس في السرير.

لقد عاشا كزوجين في كل ليلة من الليالي العشر الماضية، ولن تشكل هذه الليلة استثناء.

لم يذكر لويس موضوع حملها مرة أخرى، وقد ترددت هي في إثارته. وتساءلت من كان الطفل سيشبه، وهل كان ذكراً أم أنثى؟

الحمل! إنها المرة الأولى التي تفكر فيها في أن لويس لم يستعمل قط أي نوع من أنواع الحماية من الحمل... كما لم تفعل هي. جمدت الفرشاة في يدها وأخذت تفكر في ما يعنيه ذلك، وقد اختلطت في ذهنها المشاعر.

وفي هذه الاثناء، استند لويس إلى الوسائد خلفه وأخذ ينظر إليها بإمعان: «هل هناك ما تريدين قوله؟».

فقالت بصوت أجش: «أتظن أن طفلاً آخر سيقرّب بيننا مرة أخرى؟».

- أظن أن هذا لن يضر. ما من مانع صحيّ يحول دون ذلك.

- كان علينا أن نناقش هذا الأمر. لا يحق لك أن تقرر ذلك وحدك!

- ألا تريدين طفلاً؟

- ليس هذا هو ما أقصده.

- ما الذي قصدته إذن؟

- هذا الوضع بأكمله!

- الوضع هو ما نفعله من الآن فصاعداً. لقد اتفقنا على بداية جديدة. أتعنين أنك لا تريدين ذلك؟

- أنا لا أعني هذا طبعاً... أنا فقط...

وسكتت وهي ترفع كتفيها: «أظن أنه من الأفضل أن ننتظر قليلاً. هذا كل ما في الأمر».

- هذا لا يناسبني. هل أنت قادمة إلى السرير؟

فتملكها الغضب: «ليس لكي أمنحك ابناً ووريثاً فقط!».

وسرعان ما ندمت على هذه الكلمات. لم يتحرك لويس لكن صمته كان أفصح من الكلام ورمت الفرشاة من يدها وتوجّهت إليه ثم

جلست على حافة السرير ووضعت خدها على صدره وهمست: «هذا ليس عدلاً».

مدّ يده يتخلل شعرها ويلامس رقبتها، لكنها شعرت بالحزن في صوته وهو يقول: «إذا كنت تشعرين بأنك لا تريدين ذلك».

- بل أريد.

ورفعت رأسها تنظر إليه، باذلة كل جهدها في إقناعه وإقناع نفسها: «أريد أن نعود إلى حيث كنا في البداية. على أيّ حال، يمكن أن يشكّل هذا إنجازاً حقيقياً. فلا فائدة من إقفال الإصطبل بعد هرب الحصان!».

فقال لاوياً شفتيه بابتسامة موافقة: «نعم، لا فائدة على الإطلاق».

إنه على حق. عليهما أن يتابعا حياتهما كما كانا ليفعلا لو أن ذلك الحادث لم يقع، والأولاد هم جزء لا يتجزأ من أي زواج.

كل ما ترجوه هو أن يكون الأطباء على حق في تقييمهم لقدرتها على الإنجاب مجدداً.

* * *

كان الكلب الصغير الذي أحضره لويس بعد يومين، مزيجاً من أجناس عدة، ويتميّز بجسمه الممتلىء وذيله الطويل. عشقته كارين منذ البداية، وسمّته شمشون تعويضاً له عن صغر حجمه.

أما بياتريس فاعتبرت أن وجود حيوان طليق، من أي نوع كان، في المنزل خطأ. لكنها كانت تخفض صوتها حين تعبّر عن رأيها، وحين تعلم أن كارين قد تسمعها.

قالت ريجينا وهي مبتهجة بالضيف الجديد: «إنها تريد فقط أن تعثر على عيب في كل شيء. قال لويس إن شمشون هو واحد من خمسة جراء، ولعلني أجد واحداً منها لنفسي».

وفكرت كارين في أن هذا سيعطي بياتريس سبباً جديداً للتذمير.

وأضافت ريجينا: «هل لك أن تطلبي ذلك من لويس؟ فهو لا

يرفض لك طلباً».

تملك كارين الشك في ذلك لأن علاقتهما خارج غرفتهما لم تكن قوية. لكنها قالت: «سأحاول. ولكن لا تعتمدي على ذلك».

لم يكن ردّ فعله تلك الليلة، حين حدثته عن رغبة ريجينا مشجعاً. إذا قال إنّ أخته لم يسبق لها أن أظهرت أي اهتمام بتربية الحيوانات من قبل. كما قال إن هذه مجرد نزوة عابرة. وأجابت كارين: «إذا كان الأمر كذلك، فيسرّني أن أتحمّل مسؤولية الكلبين معاً. لكنني لا أظنك تنصفها».

فقال ساخراً: «أتظنينها لن تغير رأيها؟ لديها سوابق في هذا المجال».

فقالت متذمرة: «ثمة فرق كبير بين هذا وبين الافتتان بالشباب».

أخذ يتأملها والغموض في ملامحه: «أتعتقدين هذا؟ ريجينا شغوفة بك، وعليك أن تدركي هذا. فأينما ذهبت تتبعك. وهذه مسؤولية كبرى».

- وأنا أيضاً أحبها كثيراً. دعها تحصل على الكلب يا لويس، إنني واثقة من أنها ستعتني به.

أمال رأسه: «سأدع لك مهمة إخبار بياتريس».

عندئذ قالت تعنفه مداعبة: «أنت جبان».

رأت عينيه تلمعان فجأة. وتقدم منها بخطوة سريعة، ثم حملها بين ذراعيه. حملها إلى الفراش ورماها على وجهها واضعاً يده بين كتفيها يثبتها قائلاً: «اعتذري أو ادفعي الثمن».

رفعت يديها باستسلام ساخر: «أعتذر... أعتذر».

قلبها على ظهرها لكنه لم يدعها تنهض. لقد حلت مشاعر أقوى محل الدعابة وهو يتأمل وجهها الضاحك الجميل. لا بد أن علاقتهما كانت بهذا الشكل في البداية، كما خطر لكارين وهي تنظر إلى وجهه بشوق. كان هذا مختلفاً تماماً عن تلك المحنة العصيبة التي عاشاها

في أثناء الأسابيع الماضية.

في ما بعد، أخذت تتساءل عما إذا كان الطبيب النفسي قادراً على شفائها.

لكن، هل تريد أن تعلم الحقيقة حقاً؟ مهما كان ما جعلها تسرع إلى ريو دي جانيرو، فقد أصبح من الماضي، وربما من الأفضل أن تتركه هناك.

تحرك لويس ووضع ذراعه حول خصرها يجذبها إليه. مرّت بأصابعها على صدره فشعرت بالعضلات تتكمش تحت لمستها.

قبّلته فأطلق ضحكة خافتة وهو يقول: «سوف تندمين على وقاحتك، يوماً ما».

وخطر لها أنها قد تندم على أمور كثيرة، ولكن ليس على هذا...

وكما هو متوقع أخذ الجروان يسببان قدراً من الفوضى، فقابل مستخدمو المنزل ذلك بالتسامح، ما عدا بياتريس. أوشكت كارين أن تقترح عليها مرات عدة أن تجد لنفسها مكاناً آخر تعيش فيه مع زوجها إذا كان هذا المنزل لا يناسبها. لكن هذا القرار يعود لزوجها لويس وليس لها.

الكآبة التي تملكتها حين علمت أنها ليست حاملاً كانت شديدة بشكل لم تتوقعه بينما واجه لويس هذا بنوع من الفلسفة، لم تخفِ بخيبة أمله.

قالت: «لنفرض أني عجزت عن الحمل مرة أخرى. لنفرض أنني لم أستطع أن أمنحك ابناً يرث المزرعة؟».

ضمها إليه: «التفاؤل أفضل من التشاؤم. الوقت أمامنا طويل».

إذا كان لديها أمنية فهي أن يتمكنا من البوح بما يعتمل في صدرهما. لكن، ولكي يصبح هذا ممكناً، عليهما أن يجدا أجوبة عن العديد من الأسئلة. كيف يمكن للحب أن ينمو حيث لا يوجد ثقة؟

* * *

لقد مرّ عليها، منذ استيقظت في سرير المستشفى، ستة أسابيع، هذا ما أدركته ذات صباح وهي تنظر إلى التاريخ، ما يعني أن أربعة أشهر ونصفاً مرت منذ ربحت ذلك المال الذي غيّر حياتها.

الجزء الأكبر من هذه الفترة ما زال صفحة بيضاء من ذاكرتها. وقد تقبّلت احتمال أن يبقى كذلك طيلة حياتها. ما زالت تشعر أحياناً بحنين إلى الوطن وإلى من تركتهم هناك، لكن عليها أن تعترف بأن لا سبيل لمقارنة حياتها هناك بحياتها هنا.

شكواها الوحيدة أنها لا ترى لويس كثيراً أثناء النهار. فهو يمضي بعضاً من وقته في المزرعة، ثم يعود إلى مكتبه الذي يضم كافة المعدات العصرية التي يحتاجها سير الأعمال. وهو على عكس ريموندو الذي يترك الآخرين يديرون شؤونه، يفضل القيام بأعمال بنفسه.

قالت ذات مساء: «ربما يمكنني أن أساعد بطريقة ما. لديّ إلمام بأجهزة الكومبيوتر وما شابه».

فضحك: «لا أشك بذكائك، لكن هذا غير ضروري».

- هل معنى ذلك أنك لا تريد لأحد أن يتطفل على شؤونك؟

قطب جبينه للهجتها: «معناه أنني أحب أن أعمل وحدي. لديك ما يكفي ليشغلك، لا سيما بعد أن عدت إلى قيادة السيارة».

تأملها لحظة وقد ازداد عبوسه ثم سألها: «هل تجدين الحياة هنا مملة؟».

- كلا، أبداً. لكنها مختلفة عما اعتدته.

- لقد انتهت حياتك القديمة منذ ستة أشهر تقريباً.

- ليس بالنسبة إليّ. أم تراك نسيت؟

وسرعان ما ندمت للحدة في لهجتها بعد أن رأت فكه يتوتر فأضافت: «أنا أمزح».

- هذه مزحة سخيفة، فأنا لا أنسى شيئاً.

وعندما حاول أن يبتعد عنها أمسكت بذراعه: «آسفة يا لويس. أنا أدرك مدى صعوبة هذا الأمر بالنسبة إليك. كنت فقط...».

وسكتت، فقال: «يا لي من رجل مسكين! أنا أعرف هذا الشعور جيداً. لم يحدث لك قط ما يجعلك تخافين مني».

فقالت: «أعلم هذا».

ورأت ابتسامته الساخرة تعود وهو يقول: «أنت لا تعلمين شيئاً عن تلك الشهور الثلاثة».

فقالت متلهفة إلى محو الضرر الذي أحدثته: «أنا واثقة من أنني كنت لأشعر بأنّ ثمة سبب يجعلني أخاف منك. كما كنت لأشعر لو أنني عرفت رجلاً غيرك».

بقي لحظة طويلة لا يتحرك، متأملاً ملامحها بحدة اخترقتها. مدّت يديها إلى أعلى لتعانقه مستخدمة كل ما تعلمته في الأسابيع الماضية لجعله يلين.

لم تتلقَ أيّ جواب شفهي، لكنها قرأته في اشتعال عينيه السوداوين. لم يكن هذا هو الجواب الشافي، لكنه يكفي حالياً.

* * *

طُرد الجروان من المنزل وانتصرت بياتريس بعد أن مزّقا سجادتين صغيرتين.

وكانت ريجينا قد فقدت اهتمامها بالحيوانات رغم أنها ما زالت تلعب معهما أحياناً.

قال لويس لكارين حين رآها تخرج الكلبين للنزهة معاً: «لن أقول لك إنني نبهّتك».

فأجابت بحدة: «لكنك قلت هذا لتوّك. لكنك محق. هذه ليست مشكلة».

فقال وهو يرى المجهود الكبير الذي تبذله لتتحكم بالحيوانين: «يبدو أن هذا قد يصبح مشكلة كبرى، إذ أصبحا قويين جداً بالنسبة

إليك. ماذا ستفعلين عندما يكبران؟».

- سيكونان تدربا جيداً جينذاك، وكل ما يتطلبه الأمر هو المثابرة.

- نعم، يمكنني أن أرى مدى حسن طاعتهما لك.

لمعت عيناها لسخريته: «لا يمكننا أن نكون جميعاً مستبدين».

رفع حاجبيه متهكماً: «وهل أنا مستبد؟».

وكان عليها أن تبتسم: «لا بأس. لقد زاد هذا قليلاً عن الحد. ولكن لا تعنف ريجينا، فستظنني شكوتها إليك».

- وهذا ما ينبغي عليك أن تفعليه. إنها تستعمل طبيعتك الطيبة. والآن، دعيني أعيدهما إلى مكانهما ووفري على نفسك العناء.

أطاعته كارين ولم تدهش قط عندما أطاعه الكلبان أيضاً.

قالت له مترددة: «أرجو ألاّ تقترح إعادة برونو. سيكون شمشون وحيداً من دونه».

- يمكنه أن يبقى إذا وافقت على أن يعتني بهما كارلوس.

- على ألاّ يؤدبهما بالضرب. لا أريدهما جبانين.

- سأوصيه بأن يعاملهما جيداً.

وسكت لحظة ثم قال: «عليّ أن أذهب إلى برازيليا».

- لترى أمك؟

- سأتصل بها من هنا. لكن لدي مصالح أخرى.

نظرت إليه كارين وقد حدثتها غريزتها بوجودي شيء ما لم تستطع تفسيره. لكن ملامحه لم تكشف ما يخفيه.

- كم ستغيب؟

- ليس أكثر من يومين أو ثلاثة.

- متى؟

- غداً.

ابتلعت ريقها شاعرة بجفاف مفاجيء في حلقها: «سأفتقدك».

فابتسم: «أثناء الليل على الأقل».

www.elromancia.com

فقالت بعد لحظة: «أتظن أنّ كل ما يهمني هو الجنس؟».

- أظن أنه يلعب دوراً هاماً في علاقتنا. لطالما فعل.

فقالت وهي ترغم نفسها على مواصلة السير: «أتعني أني لم أشعر قط بشيء آخر نحوك؟».

- أعتقد أنك أقنعت نفسك بخلاف ذلك، كما أقنعت أنا أيضاً نفسي لفترة من الزمن.

فقالت باللهجة الفاترة نفسها: «حتى هربت منك ذات يوم، مثبتة العكس. ما زلت تعتقد أنني هربت مع لوسيو فيرناندیز، أليس كذلك؟».

- لا أرى سبباً غير ذلك. لقد ترك العمل في اليوم نفسه من دون أن يعلم أحداً برحيله.

هزت رأسها بشدة: «لا يمكن أبداً لرجل من نوعه أن يجذبني».

- كثيرات هن النساء اللواتي انجذبن إليه. فهو معروف بغزواته.

- هل استعلمت عنه؟

- لم أكن بحاجة إلى ذلك. كانت سمعته معروفة.

- ومع ذلك إستخدمته؟

- حياة الرجل الخاصة ملكه. وهو يقبض أجراً ما دام يقوم بالعمل.

- إلا إذا انتهك حرمة حياتك الخاصة طبعاً!

لم تحركه سخريتها قال: «هذا صحيح. يرأي الطب أنّ فقدان ذاكرتك الجزئي ما هو إلا طريقة يعتمدها العقل لنسيان ما لا يريد أن يتذكره. وإذا كان فقدانك لذاكرتك نهائياً، فالطريقة الوحيدة للتأكد من أنك لم تكوني على علاقة به هي أن أجعله يخبرني بذلك بنفسه».

- وكيف تفعل ذلك وأنت لا تعرف مكانه؟

- استخدمت شخصاً ليقتفي أثره.

تملك كارين القلق. ها هي تحدث نفسها بأنها لا يمكن أن تلجأ

إلى رجل من نوع لوسيو فيرناندیز، ولكن كيف يمكنها أن تتأكد؟

كيف يمكنها أن تتأكد من أي شيء؟

- أرجو أن ينجح في ذلك.

ترك لويس الموضوع عند هذا الحد، لكن بدا واضحاً أنه لن يفارق ذهنه. وقد عاد يلاحقها هي أيضاً مرة أخرى. كان لوسيو فيرناندیز على الطائرة نفسها بعد أن ترك عمله من دون أن يعلم أحداً. فأي تفسير آخر لذلك؟

* * *

ذلك المساء كان لديهم بعض الضيوف على العشاء. لم تكن الدعوة رسمية بل مجرد أصدقاء فاختارت كارين أن تلبس تنورة حريرية وقميصاً من دون كمين، كما انتعلت حذاء خفيفاً عالي الكعبين، جعلها تبدو طويلة مرة أخرى.

جرأتها في التحدّث بالبرتغالية جعل اندماجها في المجتمع أسهل. وإذا شعر أيّ كان بالارتباك بسبب فقدانها ذاكرتها، فقد أخفى ذلك جيداً حتى أنّ بياتريس بذلت بعض الجهد لإخفاء شعورها. وعندما أخذت كارين تراقبها خلسة وهي تتحدث إلى الرجل الجالس بجانبها، عجبت كم تبدو مختلفة وهي تبتسم. كانت تعلم أنهما لن تكونا صديقتين يوماً لأنها حظيت بالرجل الذي تريده بياتريس، وما من شيء سيغير هذا.

قد يبدو ريموندو غافلاً عن أنّ زوجته تفضّل أخاه عليه، ولكن لا يمكن ألاّ ينتبه ابداً. وغالباً ما كانت تشعر برغبة في أن تقول له ألاّ يضعف عندما يسوء مزاج بياتريس، لكنها كانت تتراجع. وعندما فتحت الموضوع مع لويس، اكتفى بهز كتفيه قائلاً إن على ريموندو أن يفرض احترامه بنفسه.

كان يجلس على رأس المائدة، وبياض قميصه الحريري الناصع يبرز سمرة وجهه وعنقه، ما جعلها تتلهف إليه. كان مخطئاً حين قال

www.elromancia.com

إن للجنس الدور الأول في العلاقة. إنه دور حيوي، ولكن ثمة أكثر من ذلك بكثير في هذه المشاعر التي أثارها فيها الآن.

لو كانت تكنّ له مثل هذا الشعور العميق من قبل، فحتى الجياد البرية ما كانت لتتمكن من جرّها بعيداً عنه... إنها واثقة من ذلك. ما المشكلة إذن؟

انخفاض الحرارة جعل احتساء القهوة على الشرفة غير مناسب، فانتقل الضيوف إلى غرفة جلوس فسيحة ليتناولوها. استمرت الأحاديث بسرعة، فبذلت كارين جهدها لمجاراتهم، لكن ذهنها لم يكن يركز معهم حقاً. فهي لا تعلم حتى في أيّ ساعة سيسافر لويس صباح الغد.

جاءت ريجينا وجلست بجانبها، وقد بدا وجهها الطفولي الجميل متألقاً. سألتها بلهفة: «ما رأيك فيه إذن؟».

عادت كارين بأفكارها إلى الحاضر: «رأيي بمن؟».

- ميران طبعاً. ميران ڤيلوتا.

حوّلت كارين انتباهها إلى الفتى موضوع النقاش، كان في منتصف العشرينات من عمره، بالغ الوسامة ويتدفق حيوية واندفاعاً ما يجعله يجذب أي فتاة. كانت قد تعرفت إليه أثناء زيارتهم لآل فيريز، ما جعلهم يدعونه على العشاء الليلة.

قالت كارين: «يبدو ظريفاً تماماً».

فبدت الإهانة على ملامح ريجينا: «ظريف؟ هل هذا كل ما يمكنك قوله؟».

- ماذا تريدينني أن أقول غير ذلك؟ لم أتحدث معه سوى مرتين، فكيف يمكنني أن أقيّمه؟.

- إنه ممتاز من كافة النواحي. إنه يعيش ويعمل في سان باولو، لكنه كثير الأسفار أيضاً.

فقالت كارين: «هل هذا ما تريدينه أنت؟ أعني الأسفار؟».

- طبعاً، ثمة الكثير من البلاد التي أريد أن أراها. ويمكنني أن أفعل ذلك مع ميران.

رفعت كارين يدها تسكتها: «دقيقة واحدة. لقد تعرّفت إليه لتوّك».

- أنت أخبرتني أنك أدركت أنّ لويس هو الرجل المنشود ما إن رأيته. وأنا أشعر نحو ميران الشيء نفسه.

قالت كارين بحذر: «ولكن هل يبادلك هذا الشعور؟».

لمعت عيناها السوداوان: «لقد أخبرني بذلك».

- متى فعل ذلك؟

- عندما كنا معاً على المائدة. قال إنني أجمل فتاة رآها، وإنه لم يشعر قط من قبل بمثل هذه الإلفة السريعة نحو فتاة.

لم تعرف كارين بماذا تجيب. كانت قد لاحظتهما وهما يتحدثان إلى بعضهما البعض، لكنها كانت من الانشغال في الأحاديث التي تدور من حولها بحيث لم تستطع أن تعيرهما انتباهها، فقالت:

- على أيّ حال، ما زال الوقت مبكراً على التفكير فيه بهذا الشكل.

- لماذا؟ لقد جرت الأمور بينك وبين لويس بهذا الشكل، فلماذا لا يحدث هذا معي ومع ميران؟ لم يسبق أن كنت واثقة من شيء، كما أنا واثقة من هذا الآن.

- لكنك كنت واثقة من رغبتك في تربية كلب وذلك منذ وقت قصير... ثم...

وسرعان ما سكتت نادمة على كلامها هذا وقالت تعتذر: «آسفة... قولي هذا ليس منصفاً».

فقالت ريجينا وهي ترفع رأسها وقد لمعت عيناها: «نعم هذا صحيح، ميران لا يقاس بحيوان!».

- كلا بالطبع.

وترددت كارين لا تدري ما هي أحسن طريقة لمواجهة الوضع، ثم

www.elromancia.com

عادت تقول: «أعتقد أنه سيبقى هنا لبضعة أيام؟».

- أربعة أيام. وسنتناول الغذاء معاً في سان لاسانتا غداً.

لم يكن من الإنصاف أن تستخف بشاعر ريجينا نحو ميران فللوتا دونما تبصّر. وبما أنه صديق لأسرة فيريز فهذا يدل على أنه يستحق الثقة. فقالت: «إذن، سأتطلع إلى مزيد من أخباركما غداً».

عندما رحل الضيوف كلهم كانت الساعة تشير إلى الثانية صباحاً.

قال لويس وهما يتهيآن للنوم: «أظن أنّ وجود ميران هنا لبضعة أيام فقط أمر جيد. فهو فتى غير ملائم».

إذن، لم تخف عليه النظرات المتبادلة.

فقالت: «لا يمكنه أن يكبرني بكثير».

- ربما بسنوات. أمّا بالنسبة إلى الخبرة...

ولم يحتج لأن يكمل الجملة، فلهجته تكفي.

لم يكن الوقت مناسباً أبداً لكي تخبره عما عرفته من ريجينا وفكرت ساخرة في أنه هو نفسه شعر بالحماسة ذات يوم. ولكن من غير المحتمل أن ينظر إلى افتتان ريجينا من الزاوية نفسها.

قالت مازحة: «الرجال لديهم دوماً خبرة أكبر. لا بدّ أنك كنت كذلك».

فنظر إليها ساخراً: «وكيف يمكنك أن تتأكدي من ذلك؟».

ضحكت: «أتراك تحاول أن تدعي أنني أول امرأة عرفتها، أيضاً؟».

- لا. لكنني أحسن الاختيار دوماً.

فقالت: «ولعل ميران ڤيلوتا يفعل أيضاً».

تأملها لويس مفكراً: «لماذا تدافعين عنه؟».

- أنا أرى فقط أنك قد تكون مخطئاً بشأنه. هذا كل ما هو الأمر.

- رأي مبنيّ على لقاء لم يدم سوى دقائق؟

- أنا أتبع الغريزة. غريزة الأنثى.

- لا يمكن الاعتماد عليها دوماً.

- في أي وقت ستغادر في الصباح؟

وسرعان ما تمنت لو بقيت ساكتة. إذ بدا واضحاً من التعبير الذي ارتسم على ملامحه أنه وجد تغييرها للموضوع غريباً. لكنه أجاب: «يجب أن أغادر قبل الثامنة والنصف. ستقلع الطائرة عند الظهر».

كانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف، ما يعني خمس ساعات قبل أن يضطرا للنهوض. نبذت كافة الأفكار قبل أن تتسلل إلى جانبه في السرير وقلبها يخفق كالعادة. لكنه، سرعان ما نام، كما لاحظت من تنفسه المنتظم. فاستلقت في الظلام توبخ نفسها لشعورها بالحرمان. لكن الطريق طويل إلى المطار ما يحتم عليه أن يكون يقظاً.

لكن ثمة ما هو أبعد من ذلك إذ لم يعجبه دفاعها عن ميران. لقد قامت بذلك من أجل ريجينا، لكنه لا يعلم ذلك.

لم تنم إلا بعد وقت طويل. وعندما استيقظت كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة. لم يكن ثمة فائدة من الاندفاع في الأنحاء راجية ألاّ يكون لويس قد سافر بعد. وتملكها شعور بالوحدة، كما وجدت المنزل موحشاً.

عندما نزلت ريجينا أخيراً، حيّتها بلهفة. كانت لا تزال مقتنعة بأنها وجدت حب حياتها.

قالت بسعادة: «سأعبّر له اليوم عن شعوري نحوه».

وتساءلت كارين عما قد يكون عليه رد فعله. لم تجد في كل ما أخبرتها به ريجينا الليلة الماضية سوى ما قد يقوله أي رجل لأي امرأة تجذبه. نعم، لقد طلب أن يراها اليوم، لكن هذا لا يعني الكثير.

عندما عادت ريجينا من موعد الغداء، كانت لا تزال متألقة العينين، رغم بعض خيبة الأمل لأن ميران رفض دعوتها ليعود معها. قالت إن لديه عملاً يقوم به وإنهما لم يتحدثا عن المستقبل.

قالت وهي تتنهد: «إنه رائع! أخبرته كيف أدركتما أنت ولوي
على الفور أنكما خلقتما لبعضكما البعض».

- وماذا قال عن ذلك؟

- رأى أن هذا شاعري للغاية.

- ومتى سترينه مرة أخرى؟

- سيتصل بي هاتفياً لنرتب الأمر.

وخطر لكارين أنّ هذا ليس تصرف رجل يكره أن يفارق محبوبت
ولكن من هي حتى تحكم على الأمور؟

قالت: «أتدركين أنه من غير المحتمل أن يوافق لويس؟».

فأجابت: «لا يستطيع لويس أن يمنعني من الزواج من ميران».

وفكرت كارين في أن الطريقة الوحيدة لمعرفة حقيقة شعور ميران
هي أن تسأله بصراحة، وفي أول فرصة تتاح لها.

أما كيف تتصل به، فهذه مشكلة. يمكنها أن تتصل بمنزل
فيريز، وتطلب التحدّث إليه، لكن التفكير في تصرف لويس الليـ
الماضية، أقنعها بأن هذه الفكرة ليست فكرة جيدة. كما أن لوي
فرناندیز ما زال يقف حائلاً بينهما.

حُلّت المشكلة حين استدعيت إلى الهاتف ذلك المساء وفوجئـ
عندما وجدت أنّ الاتصال من ميران.

قال بسرعة: «عليّ أن أتحدث إليك».

فسألته: «عن ريجينا؟».

- نعم، عن ريجينا. لا أستطيع أن أتحدث الآن، فثمة من
يسمعنا. هل يمكنك أن تقابليني؟

ترددت ثم قالت: «عليك أن تتحدث إلى ريجينا نفسها».

- لا يمكنني ذلك، أرجوك. أتوسل إليك!

لم تستطع أن ترفض تماماً، إذ لم يترك لها أيّ خيار، فقبلـ
باستسلام. كان عليها أن تخبر لويس الليلة الماضية بما يحدث وتتر

يحل المشكلة. قالت: «لا بأس. أين ومتى؟».

- لدي التزام في الصباح وعلى الغداء، لكنني سأكون حراً في
الثالثة والنصف. سأنتظر في ساحة السوق. عليّ أن أذهب الآن.

وضعت كارين السماعة شاعرة بعدم الرضى. ما من سوق في
المدينة غداً، لكنها ستصادف الكثيرين في الساحة.

كانت متأكدة مما سيقوله ميران. لقد كوّنت ريجينا انطباعاً خاطئاً،
وهو لا يعرف كيف يخبرها الحقيقة. وهذا يعني أن عليها أن تتولى
الأمر.

- هل المتصل هو لويس؟

كانت هذه بياتريس. أرغمت كارين نفسها على الالتفات ببطء
لترى بياتريس تقف على بعد ياردات منها، وقالت: «نعم».

أدركت أنها ستواجه مشكلة إذا ما اتصل لويس أثناء وقوفها هنا.
وأضافت بلهجة عرجاء: «كانت رحلته مريحة».

فلوت المرأة شفتيها: «هل هذا كل ما أخبرك به؟».

وجدت كارين صعوبة في الحفاظ على تهذيبها: «لا، البقية هي
بين الزوج وزوجته».

وعندما حاولت أن تبتعد هتفت بياتريس غاضبة: «يمكنك أن
تختبئي من الحقيقة، لكنك لا تستطيعين الهرب منها إلى الأبد».

كان في لهجتها، في كلماتها، ما جعل كارين تتوقف عن السير.
الألم الذي شق رأسها ذكرها بما شعرت به ذاك اليوم في كوركوفادو
عندما سمعت اسم بياتريس لأول مرة. وأحسّت بغصة في حلقها.

وأخيراً سألتها: «ما الذي تتحدثين عنه؟».

الحقد الذي رأته في تينك العينين الكهرمانيتين لسع روحها.
وأجابت المرأة: «أتظنين أن لويس ذهب إلى برازيليا لعمل يتعلق
بالمزرعة؟ إذا أردت أن تتذكري سبب سفره، فستجدين البرهان في
مكتبه».

تسمّرت كارين مكانها لحظات عدة بعد أن تركتها بياتريس. وأخذ عقلها يدور من دون توقّف فيما لم يعد تفكيرها مترابطاً. وعندما تحركت أخيراً، كانت حركة آلية وفق برمجة مسبقة.

في الأسابيع الماضية لم تدخل هذا المكتب سوى مرتين. وقفت عند الباب وشملت الغرفة بنظرة من عينين خلتا من أيّ تعبير.

كان المكتب الكبير القاتم اللون بجانب النافذة، فسارت إليه متجاهلة الأوراق التي تعلوه المنشورة عليه، ثم أخذت تبحث في الأدراج.

وأخيراً، وجدت ما كانت غير واثقة من أنها تبحث عنه، وجه جميل للغاية تحيط به خصلات من الشعر الأسود اللامع. كانت الصورة لفتاة لم تتجاوز الثامنة عشرة، تحمل طفلاً على ركبتيها... صبياً في الثانية من عمره، يمكن تمييز شعره الأسود وملامحه تماماً.

تشبثت بالصورة وهي تتهاوى بوهن على كرسي قريب فيما ابتدأ الضباب يرتفع أخيراً...

٧ - وعاد الماضي

طويل رشيق بكتفين عريضتين تحت قميص أبيض، كان يلفت نظر كل فتاة في محيطه. ولم تشكّل كارين استثناءً وهي تتأمل ملامحه تحت شعره الأسود الجعد. لم يكن ينقص مدينة ريو دي جانيرو رجال وسيمون، لكنه الوحيد الذي ترك هذا التأثير فيها من أول نظرة.

وقف عند عتبة المطعم، يتفحص القاعة المزدحمة من دون عجلة. وعندما استقرت نظراته عليها، عادت كارين بنظراتها إلى طبقها، شاعرة بازدياد في سرعة نبضها.

في بلاد يطغي فيها لون الشعر الأسود، برزت كارين بلونها الفاتح. وكانت قد منذ وصولها إلى ريو دي جانيرو عرضة لمحاولات تحرّش عدة من قبل شبان لكنها لم ترحب بها.

أجفلت حين رأت رئيس الندل يقف بجانبها: «لدينا مشكلة يا سنيوريتا. هذه هي المائدة الوحيدة التي بجانبها كرسي غير مشغولة. هل تسمحين للسنيور أندراد بأن يستعملها؟».

لم تحتج كارين للنظر إلى الرجل خلفه لتعرف من هو السنيور أندراد هذا، فقد أحست بوجوده. لم يكن أمامها سوى جواب واحد وإلا تبدو سيئة الخلق. وسوء الخلق هو أبعد الصفات عن طبعها. قالت: «طبعاً».

ابتسم لها مرافقها الجديد ابتسامة مدمرة وهو يجلس أمامها، وتمنت ألا تفضحها ملامحها.

- هذا كرم منك تشكرين عليه. هل أنت هنا في إجازة؟

www.elromancia.com

- أنا في عطلة. نحن نقول عطلة في إنكلترا.

- وحدك؟

رفعت رأسها وقد لمعت عيناها الخضراوان: «نعم».

- ريو دي جانيرو ليست مكاناً تزوره فتاة مثلك وحدها. شعرك وحده منارة تجذب الجميع.

- ربما عليّ أن أصبغه.

قالت هذا بوقاحة متعمدة، فعلقّ: «ستكون هذه جريمة».

أخذ قائمة الطعام من يد النادل، ثم أشار إلى ما يرغب فيه من طعام وأعادها إلى النادل.

أخذ قلبها يخفق تحت وطأة نظراته. أرادت أن تنظر بعيداً لكنها لم تستطع، إذ سمّرتها ومضات كهرمانية في عينيه المظلمتين.

قال: «اسمي لويس. الإدارة تضمنني إذا ما وجدت ذلك ضرورياً».

- ولماذا أجد ذلك ضرورياً؟

طرحت عليه هذا السؤال فرأت فمه الحازم يلتوي بشكل عادت معه نبضات قلبها إلى التسارع.

- نعم، لماذا في الواقع؟

وسكت لحظة ثم عاد يقول: «ما زال عليك أن تخبريني باسمك».

- كارين داونين.

لفظ اسمها بتمهّل: «كارين... أنت جميلة جداً. عليك ألاّ تبقي وحدك إلا إذا كانت هذه رغبتك. هل من رجل في حياتك؟».

كلا، حتى هذه اللحظة... كما خطر لها فجأة.

قالت: «أنا أحب الحرية. السفر وحدي أسرع وأسهل».

- هل أنت في البرازيل منذ مدة طويلة؟

- منذ ثلاثة أيام فقط. تمنيت أن أزور ريو دي جانيرو بعد أن رأيت محاضرة مصورة عنها.

- وهل وجدتها كما توقعتها؟

- بالنسبة إلى المناظر الطبيعية، هذا مؤكد. لقد صعدت إلى جبل شوكرلوف أمس، وكان المنظر رائعاً.

- المنظر أجمل من ناحية كوركوفادو. سآخذك إلى هناك عصر اليوم وسنمر بغابات المطر.

حدقت إليه رافعة حاجبيها، مقاومة رغبة جنونية بقبول اقتراحه: «إنك تعتبر أموراً كثيرة مسلّماً بها».

- هل تنكرين التجاذب الذي حدث بيننا؟

فتلعّثرت بفتور: «تعارفنا لتوّنا».

- كان مقدراً علينا أن نتعارف. لقد انتظرت هذه اللحظة سنوات طويلة... ولا بد أنك شعرت بذلك.

لم تكن كارين واثقة من شعورها. كان محقاً بالنسبة إلى التجاذب إذ ألهب حواسها. ولكن أن تطلق العنان، فتلك قضية أخرى.

وشرعت تقول: «أنا حقاً لا أفكر...».

فقاطعها: «لا تفكري إذن بل اتبعي نداء قلبك. أنت تريدين ما أريده أنا. كل ما أريده! أنا أرى ذلك في عينيك».

لو قال هذا الكلام أي رجل آخر، لاعتبرته غروراً كبيراً. لكن ما قاله كان قريباً من الحقيقة فهي لم تشعر قط بأنها منجذبة إلى رجل كما تشعر الآن. وشعرت بخدر في بشرتها، وبالوهن يتملكها.

هتف بها صوت داخلي: اذهبي معه، اشعري بالخطر ولو لمرة واحدة!

وأطلقت ضحكة خفيفة مرتجفة: «عليّ أن أعترف بأنّ خطتك جيدة».

- أنا لا أعمل وفق خطة موضوعة. أنا أقول فقط ما أشعر به. أنت أثرتني كما لم تثرني أي امرأة أخرى في حياتي.

فسألته بعجز: «لماذا؟».

www.elromancia.com

- جمالك وحده يمكن أن يكون سبباً كافياً، لكنني أشعر نحوك بما هو أكثر من ذلك بكثير. لقد أحضرك القدر إلى هنا، إلى ريو دي جانيرو، لهدف معين.

فقالت بلهجة عملية: «بل أحضرتني إلى هنا ورقة يانصيب رابحة، وإلا لما استطعت دفع التكاليف. عند عودتي إلى البيت ستكون تلك النقود قد نفدت تقريباً. لذا، إذا كنت تسعى وراء المال...».

قطعت كلامها عندما بدت التسلية في عينيه: «هل أبدو في حاجة إلى مال؟».

- لا. أردت فقط أن أوضح ذلك.

- أؤكد لك أن الإغراء الموجود الآن أكثر من كافٍ.

حدقت كارين فيه وقد اكتسحتها موجة مفاجئة من الإهتمام. رأت في لويس أندراد رجلاً لم تعرف مثله من قبل، ومن غير المحتمل أن تعرف مثله مرة أخرى. من المؤكد أنه خبير في فن الإغراء، ومع ذلك، شعرت بأنها تثق فيه.

سألته: «هل أنا بحاجة إلى تغيير ملابسي؟».

نظر إلى القميص الأصفر القصير الكمين الذي يبرز رشاقة قوامها، ثم هز رأسه: «ملابسك ممتازة كما هي الآن».

كانت كارين قد استمتعت برؤية ريو دي جانيرو وحدها لكن ليس بقدر ما استمتعت بها مع لويس. وجدت نفسها تخبره عن حياتها كما سمعت منه تفاصيل كثيرة عن حياته.

بعد أن أنهى عمله الذي جاء من أجله إلى العاصمة، قرر أن يأخذ عطلة لعدة أيام قبل أن يعود إلى بلده. وفي ذلك الصباح انتقل إلى الفندق. وعلمت أنه صاحب أملاك وأنه من الثراء بحيث لا يبحث عن امرأة ثرية يحتال عليها.

قالت له آسفة: «لا بد أنك ظننتني خرقاء غير لبقة لاتهامي لك بذلك الشكل».

- بل أعجبني عدم غرورك، حين ظننت أن اهتمامي بك قد يكون طمعاً في مالك. ليس لديك فكرة حقيقية عن تأثيرك في الرجال، أليس كذلك؟

كانا وحيدين على أعلى مرتفعات جبل كوركوفادو، تحت تمثال المسيح مباشرة. وشعرت كارين بفمها يجف عندما تغلغلت يده في شعرها وأدارت وجهها إليه.

كان العناق رقيقاً، فتجاوبت معه

قال: «سنرقص الليلة معاً».

- أنت تطلب الكثير.

لمعت عيناه بمكر: «أنا أتحدث عن السامبا. في ريو دي جانيرو الكل يرقص السامبا!».

ولم تستطع إلا أن تبتسم.

كانت الساعة تقارب الثامنة عندما عادا إلى الفندق. وفي غرفتها المرفهة، اغتسلت ثم ارتدت ثوباً أزرق بسيطاً للسهرة، وزينته بعقد من اللؤلؤ كان لأمها. أحاط شعرها بوجهها البيضاوي المألوف لديها إلى حد أنه لم يعد يثير فيها أي غرور. لكنه كان يعجب لويس، وهذا هو المهم. كل ما كانت ترجوه هو ألاّ تخيّب أمله كثيراً في مسائل اخرى.

تناولا العشاء في أحد مطاعم الفندق، ثم توجها إلى نادٍ خاص. بدا رائعاً في سترة السهرة البيضاء وهو يقودها في الرقص ما دمّر كل مقاومة لديها لا سيّما حين رقصا التانغو التي جعلتها تلتصق به بشكل مثير للغاية.

قالت لاهثة بعد أن توقفت الموسيقى: "لو استطاعوا أن يروني الآن؟

فسألها وهو ما زال يحتضنها: «من تعنين؟».

- أصدقائي في الوطن. لن يصدقوا أبداً أنني أفعل هذا. أنا نفسي

www.elromancia.com

لا أصدق. كان هذا بالغ...

وسكتت تبحث عن الكلمة المناسبة وهي تنظر إليه ضاحكة متألقة العينين، فأكمل كلامها: «بالغ الإثارة؟ هذا هو الهدف».

صوته المنخفض، وعيناه اللامعتان، والتعبير البادي على ملامحه، لم تدع مجالاً للشك. وعانقها، متجاهلاً الآخرين على حلبة الرقص. بادلته العناق من دون تحفظ، ولم تشعر بأي حرج وهي تشعر الأعين تنصبّ عليهما وهو يقودها من الحلبة.

كانت الساعة الواحدة تقريباً حين وصلا إلى الفندق حيث صعدا إلى غرفتها بصمت.

نظر لويس إلى وجهها وقال: «علينا أن نتزوج في أسرع وقت ممكن».

وابتسم لعينيها اللتين اتسعتا ذهولاً: «لا بد أنك تعلمين ما أشعر به نحوك وما تشعرين به نحوي. ما من حل آخر».

همست غير قادرة على أن تصدق أنه يعني حقاً ما يقول: «أنا هنا مدة أسبوعين فقط. وموطني هو إنكلترا».

- ليس لديك أسرة هناك.

- لدي أصدقاء.

- وهل يعنون لك أكثر مما يحدث بيننا؟

- أنا واثقة من أن هذا الشعور ساورك نحو نساء أخريات.

لمعت عيناه وأنكر: «أبداً! ولا أعتقد أنك شعرت بشيء كهذا نحو رجل آخر».

وعانقها مرة أخرى، يمنعها بذلك من التفكير بشكل سويّ.

وعادت المشاعر المحمومة تكتسح كيانها فأخذت ترتجف.

وعندما توقف العالم عن الدوران، قال: «أرأيت؟ لقد خلقنا لبعضنا البعض. أيمكنك أن تنكري قوة مشاعرنا؟».

لم تستطع، كما لم ترغب في أن تنكر. وتساءلت أي حمقاء

ستكون لو أدارت ظهرها للرجل الوحيد الذي استطاع أن يجعلها تشعر بهذا الشكل؟ الرجل الذي يريد أكثر بكثير من مجرد جسدها. ماذا لديها في الوطن لتعود إليه؟ قد يفتقدها الأصدقاء لفترة، ولكن لديهم حياتهم الخاصة تشغلهم.

قرأ لويس الجواب في عينيها، ورأى عمق المشاعر التي هزت كيانها. وجذبته إليها، لتعانقه نابذة أي تحفظ من ذهنها.

* * *

في الأيام التي تلت، مرت لحظات عاودها فيها التحفظ، لكن نظرة واحدة إلى لويس كانت كافية لطرد هذه الأفكار. كانت تشعر بأنها محميّة ومحبوبة، وهي مشاعر افتقدتها أثناء السنوات الأربع الماضية بعد رحيل والديها.

اتصالها الهاتفي بالوطن لتخبر شريكتها في الشقة أنها لن تعود إلى الوطن، قوبل في البداية بعدم التصديق. كيف يمكن أن تتزوج رجلاً لم تعرفه إلا منذ أيام. أجنبي أيضاً؟ وماذا عن وظيفتها وأمتعتها وحياتها كلها؟

باستثناء بعض التذكارات، لا شيء من الأهمية بحيث يُقارن بلويس. ورفضت كارين أن تعترف حتى بأقل الشكوك.

إذا كان لدى لويس أي شكوك، فهو لم يظهرها. أمضيا أيام عدة في المدينة فزارا معالمها، وذهبا إلى الشواطىء الشهيرة، وسبحا في البحر الأزرق الدافىء. بالنسبة إلى كارين كان هذا عالم أحلام لا يمكن لأحد أن يتطفل عليه.

احتفلا بزواجهما مدنياً بعد وصولها إلى ريو دي جانيرو بأسبوع واحد، على أن يتبعه احتفال في الكنيسة حين عودتهما إلى سان باولو.

واشتبهت في أنه يريد أن يفاجىء أسرته التي قد لا توافق على زواجهما، لكن هذا لا يعني أنها سمحت لهذه الشكوك بأن تؤثر فيها.

فهي ستتزوج الرجل وليس أسرته.

وبعد أن انتهت الإجراءات خطر في بالها أنها خطت في طريق اللاعودة، إذ لم يعد هناك كارين داونين. بل السنيورا أندراد زوجة رجل ما زال غريباً من نواحٍ عديدة.

سألته تلك الليلة: «ألم يعلم أخوك وأختك بزواجنا بعد؟».

- بل يعلمان.

- ألم يرغبا في أن يحضراه؟

- أرادت ريجينا أن تأتي لكنني منعتها من السفر وحدها.

- وأخوك؟

سكت لحظة قبل أن يقول بفتور: «لقد سمح ريموندو لزوجته بأن تملي عليه قرارها».

قالت بمرح: «وهذا ما لن يحدث لك أبداً».

فقال موافقاً: «قد تشعر بياتريس بشيء من الاحترام نحو زوجها إذا ما اتخذ قراراته بنفسه».

- أفهم من ذلك أن زوجة أخيك انسانة مزعجة.

ضحك بجفاء: «إذا كان هذا يعني أنها قد لا ترحب بك، فالجواب هو نعم. لكن هذا لا يعني أن عليك أن تسمحي لها بأن تضعف مركزك. ستكونين رأس الأسرة».

فقالت بتواضع ساخر: «تحت سلطتك طبعاً».

- ليس دائماً.

استسلمت كارين لمشاعرها وقد عشقت تسلّطه.

كانت تفضل أن تمضي مزيداً من الوقت مع لويس وحدهما، لكنه لم يترك لها الخيار. فسافرا إلى سان باولو في الصباح التالي.

بعد الحرارة والرطوبة في ريو دي جانيرو، وجدت مناخ سان باولو الجاف والمعتدل رائعاً.

سألها وهما يبتعدان عن المطار في السيارة التي تركها حين غادر

المدينة: «هل أنت سعيدة؟».

- سعيدة للغاية... وسأكون أسعد بعد أن ينتهي اجتماعي بأسرتك.

قالت الجملة الأخيرة بشيء من التردد. فقال وهو يلقي عليها نظرة أدفأت قلبها: «سيحبونك للغاية. ليس بإمكانهم أن يفعلوا غير ذلك».

فقالت مازحة: «أنت مستبد».

عاد ينظر إليها، متأملاً وجهها المتألق الذي لوحته الشمس، وشعرها الفضي المنسدل على كتفيها وعنقها الناعم. وقال: «لشدّة ما أحبك، أحب كل إنش فيك».

اليوم، ستتعرف إلى أسرته. قال لها لويس إن زوجة أخيه هي الوحيدة التي قد لا ترحب بها. لكن الزواج سيشكّل صدمة لهم جميعاً ولا يمكنها أن تلوم ريجينا وريموندو إذا نبذاها هما أيضاً.

كانت تتوقع أن تجد البلدة أقرب إلى القرية منها إلى المدينة الصغيرة، فإذا بها تفاجأ بأن لويس ليس فقيراً، لكنها لم تتخيّل أن المزرعة هي مجرد جزء من أملاكه. لقد تزوجت رجلاً تعدّى ثراؤه تصوراتها.

استقبلتها ريجينا بذراعين مفتوحتين، وقد تألق وجهها الفتيّ الجميل حماسة. هتفت: «قال لويس إنك رائعة الجمال، لكنني لم أرَ قط شعراً بلون شعرك من قبل».

فأجابت كارين وقد أدفأ هذا الاستقبال قلبها: «ورثته عن أمي. لطالما تمنيت أختاً، وها أنني حصلت على واحدة!».

فقال ريموندو وهو يتقدم ليرحب بها: «وعلى أخ أيضاً. أهلاً بك في غواڤادا!».

بدا الصدق في كلامه هو أيضاً، كما رأت كارين وهي تبادله الابتسام. وجدت من الغريب أن رجلاً يشبه لويس إلى هذا الحد، لا يمكن أن تشعر نحوه بأي إثارة.

لم تحاول المرأة التي وقفت خلفه أن تعانقها، وكانت ملامحها الرائعة لا تعبّر عن شيء.

قالت شيئاً بالبرتغالية جعل لويس يقطب قبل أن يقول: «كارين لا تعرف البرتغالية. علينا جميعاً أن نتكلم الإنكليزية أثناء وجودها».

فقالت كارين: «أريد أن أتعلم اللغة».

فقال وهو يبتسم لها وحدها: «وستتعلمينها في الوقت المناسب. لدينا الحياة بطولها».

حياة بطولها في بلاد تكاد لا تعرف عنها شيئاً، ورجل تعرف عنه القليل.

عادت معنوياتها ترتفع في غرفة النوم عندما عانقها لويس مرحباً بها في بيته بطريقته الخاصة. وحدثت نفسها بأن هذا هو الأهم.

* * *

تعلقت بهذه الفكرة في الأيام القليلة التي تلت. ولم يكن سهلاً أبداً أن تعتاد نمط حياة مخالف تماماً لمااعتادته. وكانت أحياناً تشعر بالحنين إلى الوطن.

كان للمزرعة مديرها ولم يكن لويس بحاجة إلى أن يتدخل بنفسه، لكنه اعتاد أن يستقل السيارة مع غيره من الرجال،ليقوم بجولة عليها ويمدّ يد العون للعمّال. وعندما سألته كارين عما إذا كان هذا ضرورياً، أجاب: «أنا أستمتع بذلك. إنه يشعرني بالإشباع. بنوع مختلف من الإشباع».

وعندما رأى التعبير الذي ارتسم على ملامحها سارع يقول: «من دون مقارنة».

فقالت محاولة أن تبدو عقلانية: «أرجو ألاّ يكون كذلك».

ضحك وضمها إليه: «وكأن هناك ما يمكن مقارنته بك!».

ورأت أنها ما زالت جزءاً من حياته وليس حياته كلها.

كان محور حياتها في مدينة ريو دي جانيرو ، ما أعماها عن أي

شيء آخر. لكنها هنا، في غواڤادا، بدأت تدرك عظم الخطوة التي خطتها، حين تركت بلادها لكي تعيش حياة غريبة تماماً عنها مع رجل تكاد لا تعرفه. . . كان هذا جنوناً كلياً.

لكن هذا لا يعني أن المشاعر التي أثارها فيها أصبحت أقل عنفاً. فيكفي أن ينظر إليها بتينك العينين السوداوين المتألقتين لتصبح كتلة من لهب. كان سهلاً عليها وهي بين ذراعيه أن تقنع نفسها بأن مجرد وجودها معه يستحق كل تضحية،ففيه كل ما كانت تتمناه.

لكن ميله إلى تأكيد سيطرته الذكورية كان يزعجها. قبولها عرضه أن يعلمها القيادة بنفسه، بدلاً من أن تتلقى الدروس في مدرسة، لم يكن بالقرار الصائب.

قالت ذات مرة بعد أن دار بينهما جدل حاد، محاولة ان تضيف إلى كلماتها شيئاً من الدعابة: «قرأت مرة أن دروس القيادة تنفر بتحطم الزواج».

لم يعجبه كلامها، فقال مهدداً: «إدعني بما دعوتني به لتوك مرة أخرى فيتحطم زواجنا بكل تأكيد. أنا لست أحد رجال بلدك الضعفاء».

أوشكت أن تقول إنها ليست إحدى نساء بلده اللواتي لا يحترمهن الرجال، لكنها كبحت ذلك،فهي لم تقابل بعد تلك المرأة الضعيفة كما عليها أن تعترف بأن لديه سبباً للتذمر من الكلمة المهينة التي استعملتها لتوّها. فقالت تسترضيه: "لقد فقدت أعصابي للحظة".

فأجاب وعيناه ما زالتا تشعان غضباً: «عليك إذن أن تتعلمي كيف تحافظين عليها».

وعادت روح الدعابة لتنقذها مرة أخرى، فأسبلت أهدابها وقالت بتواضع ساخر: «أتوسل إليك أن تسامحني».

لم تسمع أيّ جواب، فنظرت إليه من تحت أهدابها لترى شفتيه تلتويان رغماً عنه، ثم قال: «أنت لا تكنين لي أيّ احترام وعليّ أن

أعلمك هذا».

وأوقف السيارة وسط المدينة ، فاتسعت عيناها: «هنا؟».

فأجاب غير قادر على مواصلة إظهار استيائه أمام هاتين الزمردتين في وجهها: «في ما بعد. أما الآن فستتابع هذا الدرس».

الدرس الأول في التعامل مع رجلها البرازيلي، هو أن تراعي دوماً كبرياءه ورجولته حتى لو كان هذا ضد رغبتها وطبيعتها.

كانت علاقتها بريجينا تتحسّن بسرعة، فالفتاة ذات السبعة عشر ربيعاً شاعرية للغاية ما جعلها تجد زواج أخيها يحاكي الروايات التي تداوم على قراءتها بنهم.

محاولاتها اختراق الحواجز التي وضعتها بياتريس بينهما لم تلقَ نجاحاً كبيراً. فقد اعتادت المرأة أن تعاملها في غياب لويس بازدراء واضح.

سألت ريجينا ذات مرة: «هل لدى ريموندو أملاك تخصه؟».

فأجابت الفتاة: «طبعاً، لقد تركه أبوه بأحسن حال. إنه يحب غواڤادا إلى حد لم يشأ معه أن ينتقل إلى منزل خاص به... ولكن... يمكن للويس أن يطلب منه المغادرة إذا أردت أنت».

فقالت كارين: «لا يمكن أن أفعل هذا أبداً».

- ولا لتتخلصي من وجود بياتريس؟

فابتسمت كارين ساخرة: «هذا إغراء حقيقي. لماذا تكرهني إلى هذا الحد"؟

- ألا تستطيعين أن تخمّني؟ كانت تودّ أن تتزوج لويس، لكنها انتهزت فرصة حب ريموندو لها لتظفر بالاسم على الأقل. في أعماقه، لا بدّ أنه يعلم ذلك لكنها ما زالت تحكم عليه سيطرتها.

إذا كان هذا صحيحاً، وليس وليدمخيلة ريجينا، فهو يفسر الكثير. إذا كان صحيحاً، فهي تشفق على ريموندو وتتعاطف معه. لعله ضعيف لكنه يستحق أكثر من أن تستغله امرأة.

وهكذا، حاولت كارين: أن تعامله بلطف بالغ، فريموندو بعيداً عن بياتريس شخص آخر، شخص لديه من حس الفكاهة ما يبعث البهجة في النفس.

وذات مرة سألته كارين: «يبدو أنك وبياتريس غير متفقين تماماً».

فأجاب بلهجة تنطوي على خيبة الأمل: «هذا صحيح. لا يمكنني أبداً أن أكون كما تريدني بياتريس».

ترددت كارين لحظة ثم عادت تسأله: «وهل أنت سعيد؟».

- ليس لدي خيار آخر. فلويس لا يوافق أبداً على الطلاق.

أرادت كارين أن تقول له إن هذا ليس من شأن لويس، لكنها كبحت كلماتها وقالت: «لا بد أنك أحببتها كثيراً حتى تزوجتها».

- كانت الرغبة تسيطر عليّ. حتى حينذاك، كنت أعلم أن من تريده هو لويس. اعتقدت أن بإمكاني أن أرضيها. ولكن...

وسكت فجأة وقد بدا الأسف على ملامحه: «ما كان ينبغي أن أقول مثل هذه الأمور».

- لعلك بحاجة إلى الإفصاح عنها لشخص ما. هل يعلم لويس بشعورك هذا؟

- لا، إياك أن تقولي له شيئاً.

- لن أفعل. ولكن ينبغي عليك أن تفعل.

- لماذا؟ فأنا أعرف جوابه.

- هل جوابه هو أنّ عليك تحمّل مسؤولية خياراتك؟

فقال بابتسامة واهنة: «نعم».

علّقت ساخطة: «لكنها حياتك أنت وليست حياته، لا يحق له أن يملي عليك ما تفعله أو لا تفعله!».

- لديه الحق في أن يطلب مني مغادرة غواڤادا وهذا ما أكرهه.

ترك الموضوع عند هذا الحدّ وقد بدا أنه ندم على مصارحتها. شعرت كارين بالأسف نحوه، وبفروغ الصبر منه. قد يكون لويس

مستبداً، لكنها تشك في أن يتصرف بالشكل الذي يخشاه ريموندو، أيّ من دون اعتبار لرأيه.

ورغم أن مدينة لاسانتا لم يكن ينقصها أماكن اللهو والتسلية، إلا أن حياتهم الاجتماعية تقتصر أكثر على الأصدقاء والجيران. لم يكن الكل يتكلم الإنكليزية، ما أتعبها لا سيّما وأنّ معرفتها بالبرتغالية ما زالت ضعيفة. وكانت تشعر بالسعادة عندما تجد أحداً تتحدث إليه غير أفراد العائلة.

كان جورج أرويو رجلاً ذا دخل محدود، يعمل في لاسانتا. كان يصغر لويس بسنتين أو ثلاث، ويتعامل مع الحياة بسلاسة وسهولة.

قال: «عودة لويس متأبطاً ذراع عروسه، دمّرت آمالاً كثيرة. كان بإمكانه أن يختار عروساً من الفتيات اللاتي لم يتزوجن بعد. وهذا لا يعني أن أياً منهن يمكن أن تقارن بك. ليتني أفوز بك، أنا نفسي! طبعاً بصفة لوحة زيتية على قماش».

ولمعت عيناه مكراً. فقالت كارين باسمة: «طبعاً. كم تبلغ كلفة لوحة عندك؟».

- لن أبيعها، بل سأحتفظ بها لنفسي.

فأجابت باللهجة المرحة نفسها: «لا أظن أن لويس سيوافق!».

تنهد ساخراً: «أظنك على حق، لأن لويس لا يقدر مواهبي، ولن يعجبه أن تتحدثي إليّ».

فقدحت عيناها شرراً: «من أتحدث أو لا أتحدث إليه، قرار لا يرجع إليه».

- أنا متشوق إذن إلى أحاديث أخرى معاً!.

ورأت ترى نظرة شيطانية في عينيه، مرة أخرى، وهو يبتعد ليجيب عن أسئلة وجهها إليه أحد الرجال. مهما كان غرضه، ما كان لها أن تسمح له باستفزازها.

وقف لويس مع مجموعة من الناس على مسافة قصيرة، فانضمت

إليه، واضعة يدها في يده، مبتسمة للآخرين. وعندما ساد الصمت بينهم أدركت أنهم كانوا يتحدثون بالبرتغالية.

لم تشأ إظهار أي ارتباك بل دعتهم لمتابعة الحديث قائلة: «تابعوا الكلام، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعلني أتعلم اللغة».

فقالت امرأة منهم بلطف: «من الأفضل أن تأخذي دروساً بالشكل الصحيح».

فقالت كارين: «هذا ما أظنه، ما رأيك يا لويس؟».

- لا ضرر في ذلك.

نظرت إليه بسرعة فرأت التوتر في فكه. لقد رآها تتحدث إلى الرجل فلم يعجبه ذلك.

انتظر لويس حتى أصبحا بمفردهما في غرفة النوم، ليقول: «عليك أن تتجنبي الاتصال بجورج أرويو».

اقشعرت غريزياً للهجته: «لماذا؟».

- ينبغي أن يكون كلامي كافياً.

- حسناً، لا أظنه كافياً. كل ما كنت أفعله هو التحدث إلى رجل!

ألقى عليها نظرة باردة لم تتعودها: «لم تكوني تتحدثين إليه وحسب، بل تغازلينه».

فردت عليه بحدة: «هو من كان يغازل».

قال وهو يرفع يده عندما رآها تهمّ بالكلام: " بتشجيع منك. لا أريد جدالاً".

فقالت بغضب: «لا تعاملني وكأنني مواطنة درجة ثانية! جئت من بلد يعترف بالمساواة».

رفع حاجبه ساخراً: «البلد الذي جئت منه تنازل فيه الرجال عن حقهم في أن يكونوا رجالاً. أتوقع من زوجتي أن تفعل ما أطلبه منها».

- أنت لا تطلب مني، بل تأمرني!

www.elromancia.com

فلم يرفع صوته: «أنا إذن آمرك. عليك أن تبتعدي عن جورج أرويو».

وابتعد عنها متوجهاً إلى الحمام، وتركها تغلي غيظاً. وعندما عاد إلى الغرفة كانت هي في السرير وقد أدارت ظهرها له.

نام في السرير بصمت. ورغم الغضب الذي ما زال يتملكها، وعدم اتزان ذهنها، امتدت يده نحوها، فقالت له من بين أسنانها: «دعني وحدي! لا أريدك!».

قال برقة: «أظنك تكذبين».

حاولت أن تبقى جامدة، لكنه ضحك قائلاً: «قد يرغب فيك رجال آخرون، لكنك لي أنا. لي أنا فقط».

وبعد حين، وفيما هي تستلقي أرقة، سمعت ذلك الصوت الخفي الذي بدأ يهمس في أذنها منذ بعض الوقت، أن لويس لا يحبها كما كانت تظن. بل هي إحدى مقتنياته وحسب.

٨ - أنت امرأة نادرة

أقيم حفل الزواج الكنسي في كنيسة المدينة الرائعة. واقتصر الحضور على الأسرة والأصدقاء. لقد ربطهما الزواج المدني قانوناً، أما الزواج الكنسي فهو الرباط الأبدي.

وعندما تبيّن أنها حامل، ساورها مزيج من المشاعر المختلفة، فهي لم تفكر في هذا الأمر حتى الآن.

تلقى لويس الخبر برضى بالغ وقال: «لن يكون هذا ولدنا الوحيد».

قالت كارين، جاهدة لتظهر الحماسة نفسها: «أنا أيضاً لا أريده كذلك. إذا كان هذا صبياً فأرجو أن يكون التالي بنتاً».

فضحك وهز رأسه: «صبيان أولاً، ثم يمكنك أن تحصلي على بنت».

فقالت بشيء من التوتر: «قد تكون عنيداً، لكن هذا أمر لا يمكنك التحكم فيه».

ابتسم لويس تلك الابتسامة التي لم تفشل أبداً في إثارتها: «لا يمكنني إلا أن أحاول».

ريجينا أيضاً سرّها خبر الحمل، لكن الكآبة تملكتها: «كُتب عليّ ألاّ أقابل رجلاً يمكنني أن أحبه».

فقالت كارين: «ما زلت في السابعة عشرة، وأمامك الكثير من الوقت. ستقابلين الرجل المناسب يوماً ما ويحملك بعيداً!».

- كما فعل لويس معك! كيف عرفت أنه الرجل المنشود؟ ما الذي

www.elromancia.com

جعله يختلف عن غيره من الرجال؟

بحثت كارين عن جواب مرح، فقالت: «إنه برازيلي».

فعبست الفتاة: «إنك تمازحين».

- قليلاً فقط. أظن أنّ ما جذبني إليه هو مظهره، وسلوكه، والأشياء التي قالها.

- ما هي تلك الأشياء؟

- ستعرفينها بنفسك يوماً ما.

فضحكت ريجينا: «إنني أتشوق إلى ذلك! وأتشوّق إلى طفل أيضاً! هل ستختارين أسماء إنكليزية؟».

- أشك في أن يوافق أخوك على ذلك.

لقد تزوجت برازيلياً، وسيكون أولادها برازيليين. لقد اقترح عليها أن تقدم طلباً للحصول على الجنسية البرازيلية، لكنها رفضت. فآخر ما تريده هو أن تتخلى عن جنسيتها، وقد تقبل رفضها بطيب خاطر.

وبالرغم منها، رضخت لطلبه وقررت ألاّ تقابل مجدداً جورج أرويو، رغم أنه بدا من المستحيل أن تتجنبه.

قال لها بحزن عندما تصادفا في لاسانتا ذات صباح: «ظننتك شجاعة وذات عزيمة».

فقالت: «هذه تدعى دبلوماسية».

دافعت عن نفسها حين لم ترَ فائدة من ادعاء أنها لم تفهم ما يعنيه. فقال: «بل يدعى استسلاماً. إذا كان لديك بقية من شخصية مستقلة، تناولي معي فنجان قهوة».

أوشكت أن ترفض لولا أن شعرت بعصيان مفاجيء يتملكها. إنه على حق. حان الوقت لكي تجعل لويس يرى أنها ما زالت مستقلة.

فقالت: «لا بأس».

ابتسم باستحسان: «هذا أفضل».

المقهى الذي أخذها إليه كان مكتظاً بالزبائن. ورأت كارين وجهاً

أو اثنين مألوفين لديها، فعلمت أن الخبر سيصل إلى لويس، لكنها رفضت أن تهتم بذلك. وعندما جلسا معاً إلى المائدة سألته: "ماذا لدى لويس ضدك؟».

هز جورج كتفيه بأسف: «انجذبت إليّ ريجينا في العام الماضي، فظن أنني شجعتها على ذلك».

- وهل فعلت ذلك حقاً؟

بدا وكأنها جرحت كرامته: «أردت فقط أن أرسمها. أما البقية ففي ذهنها هي فقط».

- أخبرني عن ذلك.

- ما من شيء مهم ليقال. لقد جاءت إلى الإستوديو ثلاث مرات فقط. لم يكن لديّ فكرة عن شعورها نحوي حتى اعترفت لي بنفسها. ارتبكت فأنا لم أتعوّد التعامل مع مشاعر الفتيات المراهقات. جعلها لويس تخبره بما يجعلها حزينة، ثم هدّد بقتلي.

فقالت محاولة أن تحكم على الوضع بشكل حيادي: "الناس يقولون أيّ شيء تحت الضغط النفسي. هل أفهم من ذلك أن لويس لا يعلم شيئاً عن اللوحة التي رسمتها لها"؟

- لم أكن أعلم أنها احتفظت بالأمر سراً.

تأملته لحظة طويلة، لا تدري إن كان عليها أن تصدقه أم لا. سن السابعة عشرة هو سن الإحساس المرهف وسرعة التأثر.

وأخيراً قالت: «أظن أن الأمر انتهى على خير، وأنّ ريجينا شفيت. وما زلت أنت موجوداً لتحكي الحكاية».

فقال: «إنها ليست حكاية. ريجينا مجرد موضوع أرسمه ليس إلاّ. ربما كان عليّ أن أستأذن لويس قبل أن أرسمها، لكنني لم أفكر في ذلك».

- حسناً، يكفي ما بينك وبين لويس من بذور العداوة، فلا تضف إليها.

فنظر إليها باستخفاف: «أنا لا أخاف منه، ولكن لك أن تفعلي ما يناسبك طبعاً».

إذا اعتقد لويس أن الرجل شجع ريجينا، فبإمكانها أن تفهم سبب اعتراضه. ولو أخبرها بالسبب حينذاك، لتقبلته.

لكن هذه ليست طريقة لويس... ولماذا يزعج نفسه بتفسير أي شيء؟

عندما غادرت المقهى، كانت تشعر بالعيون تتبعها. فأولئك الذين يعرفون لويس وجورج يعرفون الخلاف الذي بينهما، حتى إن لم يعرفوا السبب.

عندما عادت إلى البيت، حيّتها ريجينا بعتب: «كنت لأرافقك إلى المدينة لو عرفت أنك ستخرجين».

فأجابت كارين بليونة: «لو كنت هنا عندما قررت الخروج لطلبت منك مرافقتي. أين كنتِ؟».

- كنت أساعد ماركوس في تغيير عجلة المرسيدس. أحتاج إلى تعلّم هذا عندما أحصل على رخصة سوق في العام القادم.

فقالت كارين ممازحة: «لم تفعلي إذن لأن ماركوس شاب عريض وطويل ووسيم».

أوشكت ريجينا أن تنكر بسخط، لكنها عادت وابتسمت قائلة: «إنه فعلاً هكذا، أليس كذلك؟ هل ستخبرين لويس؟ سيتخلص منه إذا عرف أنني مفتونة به».

وبدا عليها الجفاء وهي تتابع: «لقد أقدمت على تصرّف غاية في الحماقة العام الماضي إذ سمحت لنفسي بأن أفتتن برجل يكبرني بسنوات عديدة. من حسن الحظ أن لويس عرف بالأمر ووضع حداً له قبل أن يتطور إلى أكثر من مجرد افتتان».

استغربت كارين أن تخبرها ريجينا بهذا الأمر في اليوم نفسه الذي اختاره جورج ليبوح لها بالأمر. وبدا من رواية ريجينا أن جورج كان

يكذب. كما شعرت أنّ الفتاة ندمت على إفضائها لها بذلك، فقالت تواسيها: "لا بأس. كلنا قمنا بتصرفات حمقاء في وقت من الأوقات. ومن الأفضل أن ننساها".

- كان الأمر ليصبح أسهل لو لم أعد أراه أبداً. هل بدأت تشعرين بحركة الجنين في بطنك؟

ضحكت كارين: «ما زال الوقت مبكراً لذلك».

- هل تخبرينني حالما يبدأ بالحركة؟

-إذا لم يحصل هذا في منتصف الليل.

عندما أصبحت وحيدة في غرفتها، وضعت يدها على بطنها التي ما زالت مشدودة. سيمرّ أكثر من ثلاثة أشهر قبل أن يصبح الحمل ظاهراً، والحركة التي شعرت بها لا بد أنها من نسج مخيلتها.

جاء لويس وهي على هذا الشكل. هل سيبقى شعوره نحوها كما هو الآن عندما يتغيّر شكلها بفعل الحمل؟

أبعدت يديها عن بطنها عندما انفتح الباب، فنظر إليها رافعاً حاجبيه: «يبدو أنك جفلت».

- كنت مستغرقة في أفكاري فلم أشعر بوجودك في البيت.

- إني أعمل في المكتب منذ ساعتين. أخبرتني ريجينا أنك عدت.

وسكت ينتظر جوابها، وعندما لم تجب، أصبحت نظراته أكثر حدّة: «هل من خطب؟».

فقالت: «من الأفضل أن تسمع الخبر مني قبل أن تسمعه من شخص آخر. لقد شربت القهوة مع جورج أرويو هذا الصباح».

توترت العضلات حول فمه القوي، منذرة بالسوء: «أخبرتك...».

- أعرف ما قلته لي، كما أعرف لماذا لا تريدني أن ألتقيه به. لو أخبرتني عن ريجينا منذ البداية لتفهّمت الأمر.

أغلق لويس الباب ثم التفت إليها جامد الوجه: «لا أرى سبباً

يجعلني أفسر دوافعي».

- بمعنى آخر، يكفي أن تلقي الأوامر. حسناً، لم يكن هذا كافياً.

- هذا ما يبدو. لا أظن أن جورج أخبرك بهذا بنفسه، بل ريجينا هي التي فعلت.

كان غضبه بالغاً، لكنه تحكّم فيه، فيما أجابت: " نعم، رغم أن جورج كان... "

وسكتت فجأة وعضت على شفتها، فابتسم لها دون بهجة: «إدّعى أنه ضحية بريئة لفتاة صغيرة مفتونة، أليس هذا ما كنت ستقولينه؟».

- تقريباً. لكنني لم أصدقه.

- هذا شيء تشكرين عليه.

احمر وجهها: «لا حاجة للتهكم. إنني أحاول أن أكون صادقة معك. وجورج أرويو لا يهمني على الإطلاق».

- هل شربت القهوة فقط معه لتأكدي من ذلك؟

- نعم. أنا حمقاء، أعرف هذا.

تفرّس فيها وقد لانت ملامحه: «لعلك مضلّلة».

لم تتحرك عندما تقدم منها، وأمسك بوجهها بين راحتيه، فيما راحت عيناه تتفحصانها: «ألست نادمة؟».

- لست نادمة.

وكان هذا بعيداً عن الحقيقة، فقد ندمت على أمور كثيرة. ربح اليانصيب الذي أحضرها إلى هنا في البداية... الزواج برجل لم تعرفه إلا قليلاً مدفوعة بقوة الرغبة...

سألها مقطباً حاجبيه: «ماذا حدث؟».

فانتفضت. سواء ندمت أم لا، فالزواج حقيقة واقعة الآن. وحتى لو رغب لويس في أن يفسخه، فهو لن يفعل الآن وهي حامل.

قالت: «أشعر بشيء من الحنين إلى الوطن. هذا كل ما في الأمر».

- هذا هو وطنك، وإذا عدت إلى إنكلترا، فبشكل زيارة.

وليس لمدة طويلة، كما قرأت بين السطور.

أثار عناقه تجاوباً منها. على الأقل لم يتغير هذا، وتمنّت ألاّ يتغير أبداً.

* * *

إعلان لويس قبل أسبوع من عيد الميلاد أنهم سيزورون أمه في برازيليا، شكّل مفاجأة لها. وقالت كارين:

- كان لدي انطباع بأن بينكما جفاء!

- كنا كذلك لفترة، فقد تزوجت بسرعة بعد وفاة والدي، خلافاً للأصول.

- وهل سامحتها؟

- وماذا أستطيع غير ذلك؟ إنها أمي!

- وماذا عن زوجها؟

- إنه رجل لا بأس به، كثير الأسفار، ولهذا قد لا نراه.

- هل تعلم أمك أنني لست برازيلية؟

- نعم.

ذهبا إلى برازيليا في اليوم التالي. وكانت هذه هي المرة الثانية خلال أسابيع التي تغيب فيها كارين عن المزرعة لأكثر من عدة أميال.

أثناء الرحلة إلى المطار، أخذت تفكر في الرحلة السابقة حين كانت لا تزال في السماء السابعة، مقتنعة بأنها وجدت حب حياتها. ربما كان هذا صحيحاً بالنسبة إلى الجسد. ولكن مهما كان حب الجسد خيالياً في روعته، إلا أنه ليس العلاقة كلها. لو لم تعرف لويس، لكانت الآن تستيقظ في الشقة في لندن، يفصلها جدار عن غرفة جولي، وأمامها الروتين اليومي العادي ينتظرها.

- أنت هادئة جداً. هل تشعرين بالمرض؟

فتمسكت بهذا العذر: «قليلاً».

www.elromancia.com

- أتريدين أن أوقف السيارة؟

فهزت رأسها: «سيمر ذلك».

قال بعد لحظة: «ربما كان عليّ أن أنتظر فترة قبل أن أرتب أمر هذه الرحلة. يمكننا أن نعود إلى البيت، إذا شئت».

وبما أنها لم تكن متشوّقة لمقابلة أمه، تملكها الإغراء في قبول اقتراحه، لكنها عادت ففكرت في أنه ربما من الأفضل أن تقوم بهذه المقابلة وتنتهي منها. وقالت:

- لا يمكننا أن نربك أمك في آخر لحظة. وعلى كل حال فقد بدأت الرحلة.

فابتسم: «يا لتقلّب النساء».

تملك كارين شيء من الشعور بالذنب. أجابت بشيء من الوقاحة: «علينا أن نكون كذلك لكي نستطيع أن نحتملكم، أنتم الرجال».

فضحك قائلاً: «يا لعذاب الشهداء!».

تفحصته من زاوية عينها، وأثارتها رجولته كالعادة. إنها تعرف تفاصيل جسده بقدر ما يعرف تفاصيل جسمها. ولكن هذا كل ما تعرفه عنه في الحقيقة... وربما كل ما ستعرفه.

فقالت: «ولكن أليس الأمر كذلك؟».

نظرته إليها كانت أكثر حدة، هذه المرة، رغم أنه لم يعلّق. وكادت تسمعه يعزو الهشاشة في صوتها إلى حالتها... وشعرت بأنها وقعت في شرك.

كانت برازيليا مدينة كبيرة، محاطة ببحيرة اصطناعية كبيرة. وكان منزل أمه يقع في منطقة سكنية عند الطرف الجنوبي للبحيرة، وهو مبني على أرض فسيحة ذات مناظر طبيعية جميلة وقد بدا كبيراً بالنسبة إلى شخصين.

- ماذا قلت عن عمل زوج أمك؟

- لم أقل شيئاً. إنه وزير خارجية. تعرفت إليه أمي أثناء زيارة لها

لبرازيليا مع بعض الأصدقاء بعد وفاة أبي بأسابيع. وتزوجا بعد ذلك بشهر.

- الولد لأمه.

تمتمت كارين بذلك وهو يهمّ بالنزول من السيارة، فتوقف وألقى عليها نظرة صارمة: «لا مجال للمقارنة!».

فبدا عليها الندم: «أعرف هذا. ظروفنا مختلفة تماماً».

فقال من دون أن تغيب الصرامة عن نظراته: «يسرّني أن تدركي هذا».

خرج لملاقاتهما رجل من موظفي المنزل، فنزل لويس من مقعده ليرد التحية، ثم استدار حول السيارة ليساعدها على النزول بينما توجّه المستخدم إلى صندوق السيارة يفتحه ويخرج أمتعتهما.

كبحت كارين رغبة في أن تقول إنها لا تحتاج إلى مساعدة. كانت مشاعرها في مرحلة عدم الاستقرار، فهي حيناً فرحة، وحيناً آخر مكتئبة... وكانت تفترض أن هذا بفعل الهرمونات.

كان المنزل من الداخل على الطراز الأمريكي، فأرضه مرصوفة بالآجر، وأثاثه أكثر زخرفة من أن يناسب ذوق كارين، وقد بدا باهظ الثمن. خلف الباب الزجاجي المواجه لغرفة الجلوس يمكن رؤية شرفة واسعة تحيط بها الستائر، وخلف ذلك بركة سباحة تنتهي بشلال.

نهضت كريستينا بلسامو عن كرسيها المزخرف. ونظراً لعمر لويس، لا بد أنها في الخمسينات، ومع ذلك بدت في منتصف الأربعينات. بدت بالغة الجمال والأناقة بثوبها الحريري التبني اللون، وشعرها الأسود الكث المرفوع عالياً لكن ابتسامتها لم تكن تنعكس في عينيها.

حيّت ابنها باللغة البرتغالية لتنتقل إلى تحية كارين بإنكليزية متكلفة، ثم قالت: «أنت جميلة جداً، لكنني لم أكن أتوقع أقل من ذلك. لا بد

أنك متعبة من الرحلة، وتريدين من دون شك أن ترتاحي قبل الغداء».

رأت أنّ هذا كان أمراً أكثر منه اقتراحاً. كما أنّ الترحيب لم يكن حاراً على أيّ حال. وهمّت بأن تقول إنها تفضل أن تسبح، لكنها كبحت ذلك. فهي لم تحمل معها بذلة سباحة.

قالت بدلاً من ذلك: «هذه مراعاة بالغة منك».

قالت كريستينا مخاطبة لويس: «خصصت لكما الجناح الأزرق».

وأضافت شيئاً بالبرتغالية بسرعة لم تستطع معها كارين حتى أن تخمن معناه.

لم يجب بأي من اللغتين بل أشار إلى أن كارين ستصحبه. كانت ملامحه جامدة رغم أن كارين شعرت بشيء يغلي في داخله.

كانت أجنحة الضيوف بجانب الممشى. وعدّت كارين ثلاثة أجنحة بعد الباب الذي فتحه لويس. لا كانت الستائر، وأغطية والسرير، السجادة، زرقاء اللون الأبيض. ولاحظت كارين وجود سريرين منفصلين، ما يعكس شعور كريستينا نحو هذا الزواج، مع أنها على الأقل تزوجت برازيلياً آخر وليس أجنبياً.

وكانت أمتعتهما قد وُضعت عند أسفل كل سرير.

وعندما توجهت نحو حقيبتها، قال لويس: «دعي هذا الآن. دعي عنك هذا. أنت بحاجة لأن ترتاحي».

فأجابت بحدة: «أنا لست متعبة. من فضلك هل لك أن تكفّ عن معاملتي وكأنني مريضة؟».

- هذه ليست نيتي. من الآن فصاعداً، لك أن تفعلي ما تشعرين أنك قادرة على فعله.

تمالكت كارين نفسها وقد ندمت على حدتها: «آسفة، ما كان لي أن أقول هذا. أنا فقط...».

وسكتت وهي تبسط يديها بعجز: «لعلي متعبة».

انبسطت أساريره قليلاً، ثم تقدم نحوها ورفع وجهها إليه وقبلها ثم

قال: «سأكون معك بعد قليل. أمي تريد أن تتحدث إلي».

وفكرت كارين بأن الأم تريد من دون شك أن تعبر لابنها عن عدم رضاها لكن هذا لا يعني أن ثمة ما يمكن للمرأة أن تفعله.

بعد ذهاب لويس، أفرغت الحقيبتين. إذا كان إدغار بلسامو مسافراً، فليس من المحتمل أن تستضيف كريستينا أصدقاء، وفي هذا راحة لها هي. فمواجهتها لأناس يشاطرون الأم رأيها، أمر يمكنها الاستغناء عنه.

غابت الشمس ببهاء وروعة فائقين، مضيئة الغيوم التي انتشرت في الأفق.

لا بد أن الوزراء يتقاضون رواتب ضخمة لكي يتمكنوا من العيش في مساكن جميلة كهذه. لكنها تفضّل غواڤادا.

عندما عاد لويس بدا متضايقاً جداً، فلم تسأله كارين عن السبب. كانت تعلم أن موعد العشاء هو نفسه موعده في غواڤادا، ما يعني أنّ ساعتين. وكانت تعرف طريقة ناجحة لقضاء هذه المدة بطريقة تسرّهما معاً.

وعندما قرأ الرسالة في عينيها، ارتسمت على فمه ابتسامة بدّدت التوتر الذي بدا عليه. وقال: «أنت امرأة نادرة».

فقالت بعد أن ضمها إليه وسمعت ضحكته الخافتة: «أتعني بالنسبة إلى امرأة إنكليزية؟».

- بل إلى امرأة من جميع الجنسيات.

وكعادتها، عندما تكون بين ذراعيه، لم تعد ترغب في أي مكان آخر. عندما تصبح بين ذراعيه تفقد اهتمامها بأي شيء آخر ولو ذهب العالم كله إلى جهنم.

بين ذراعيه، تختفي عقدها النفسية، فتقدم نفسها إليه بكل حرية.

قال لها وهما متعانقان: «سمعت أن الحمل في مرحلته الأولى يمكن أن يجعل بعض النساء ينفرن من العلاقة الزوجية. لكني أشكر

حظي».

ورفع رأسه لينظر في عينيها، فجذبها البريق الكهرماني في ظلمات عينيه: «أنت تُشبعين رغباتي كلها!».

خطر لها أنه ربما يعني هذه اللحظة. وقالت: «وأنت أيضاً. أنت عاشق لا مثيل له».

فابتسم باختصار: «ليس لديك من تقارنينه بي، ولن يكون لديك ما دمت أتنفس».

وأضاف فجأة بعنف: «أنت لي. لي وحدي!».

ها هو ذا يقولها مرة أخرى، وعاودتها تلك الفكرة التي كانت قد توارت من ذاكرتها، أيّ فكرة التملك وليس الحب!

أمضيا في برازيليا ثلاثة أيام فقط، لكنها بدت لهما أكثر من ثلاثة أشهر. كانت كريستينا مؤدبة دمثة ليس إلاّ. ولم يكن من المحتمل أن تصبح أكثر ليناً، بحسب رأي كارين. كانت ترى أن لويس خان بني جنسه حين تزوج من غريبة.

في أول ليلة لهما، رحب بهما إدغار بلسامو، رجل وسيم في أوائل الستينات. ورغم أنه سعى لإطالة الترحيب بهما، إلاّ أنه وجد الوضع صعباً. ولم تندهش كارين حين أعلن أن عليه أن يسافر صباح اليوم التالي، وتمنت لو أن بإمكانها أن تفعل ذلك هي أيضاً.

أمضى لويس طوال النهار التالي في التجوال بها في أنحاء العاصمة يريها قصورها ومبانيها العصرية. كانت كارين تفضل أن تقوم بتلك الجولة الاستكشافية على قدميها، لكن نظراً لارتفاع الحرارة وقلة الظلال، لم يكن يسير على قدميه سوى القليل من الناس.

قالت أثناء تناولهما الغداء على قمة أحد فنادق المدينة: «أكره أن أعيش هنا. المدينة كبيرة للغاية!».

فرد بحدة: «لندن كبيرة أيضاً، لكنك عشت فيها».

تملكها الحنين إلى الوطن لحظة، وتناست الأوقات التي كانت

تتمنى فيها أن تترك المدينة وتعيش في الريف. وقالت: «الأمر ليس مماثلاً».

نظر إليها ساخراً: «باستثناء الهندسة المعمارية، بماذا تختلف لندن عن أي مدينة أخرى؟».

- لديها روح... تاريخ يعود إلى مئات السنين، وليس عشرات السنين وحسب! إذا كنت قد زرتها فستعرف ما أتحدث عنه.

- عليك أن تلعبي دور المرشد السياحي.

حدقت كارين فيه لحظة، لا تعلم إن كان يعني حقاً ما يقترحه، أم أنه يثرثر فقط. وأخيراً سألته، مقتنعة بالافتراض الأول: «متى؟».

هز كتفيه: «ربما بعد سنة أو نحوها حين يصبح بالإمكان ترك الطفل».

قد تكون حاملاً مرة أخرى حينذاك. أخذت تفكر في هذا وهي تتذكر ما قاله مرة عن أنه لا يريد طفلاً واحداً. وهذا لا يعني أنها تمانع، فلطالما تمنت أن يكون لها أخوة.

من الأفضل ألاّ تعود إلى الوطن أبداً. فما الفائدة؟ لقد أصبحت حياتها هنا الآن. لعلها ليست بمثل الروعة التي ظنتها في البداية، لكنها ليست حياة سيئة.

سألها بفضول وهو يرى تعاقب التعبير على وجهها: «بمَ تفكرين؟».

قالت باندفاع: "كنت أتمنى لو اننا في بيتنا".

واندهشت من نفسها لأنها المرة الأولى التي تفكر فيها في غواثادا على أنها بيتها.

وتابعت تقول: «أنا واثقة من أن أمك لن تمانع إذا رحلنا غداً».

ومض شيء ما في أعماق عينيه قبل أن يقول: «لدي أمور عليّ أن أهتم بها غداً».

ولم يزد فافترضت أنها أمور تتعلق بالعمل. لكن فكرة أن تمضي

النهار وحدها مع أمه، لم تعجبها كلياً.

كانت كريستينا مرتبطة بموعد في الصباح هي أيضاً، فأمضت كارين الوقت على الشرفة تطالع. لم يقل لويس متى سيعود، وتمنت لو يرجع قبل عودة أمه.

لكنه لم يعد. وعادت أمه قرابة الواحدة والنصف، فتناولتا الغداء معاً. كان حديثهما قليلاً للغاية، والجوّ بينهما بارداً كالثلج، حتى لم تعد كارين تستطيع احتماله، فقالت: «أعلم أنك لا توافقين على زواجنا، لكني خياره هو. ألا يمكنك أن تتقبلي ذلك؟».

لم يبدُ في عيني المرأة أي تعبير رقيق وهي تقول: «لن أتقبل ذلك أبداً. لقد فعل ذلك ليعاقبني!».

نظرت إليها كارين باستغراب: «يعاقبك؟».

- نعم، لأنني أهنت ذكرى أبيه.

لم تصدق كارين أن المرأة جادة، فقالت: «دعك من هذا. لا يمكن أن يصل إلى هذا الحد».

ضحكت المرأة من دون بهجة: «أتظنين أنك تعرفين ابني أكثر مما أعرفه أنا؟ ثمة الكثير لم تعرفيه عنه بعد. كان بإمكانه أن يختار عروساً مناسبة تحمل اسمه. فلماذا لم يفعل، إذا لم يشأ أن يؤلمني؟ لقد اختار زوجة يعلم أنني لا يمكن أن أوافق عليها».

- أخبرني أن أباه مات منذ سنوات. فلماذا انتظر طيلة هذه تلك المدة ليعود فيتقم منك؟

فعادت الضحكة الجافة: «كان عليه أولاً أن يجد من ترضي رغباته أيضاً».

وخطر لكارين أنّ هذا الكلام يمكن أن يكون صحيحاً. وشعرت بكآبة مؤلمة في أعماقها، فقد سبق وعرفت أن لويس لم يحبها. على الأقل ليس بالشكل الذي تدعوه هي حباً. لكنها هي أيضاً لا تحبه.

بل تحبينه، فكفّي عن نكران الحقيقة!

وكان هذا صوتاً هتف بها من أعماقها.

ابتلعت ريقها بصعوبة، باحثة عن شيء تقوله للمرأة: «لك أن تؤمني بكل ما تعتقدينه، لكن الحقيقة تبقى أنني زوجة لويس وأنني حامل بابنه. أول حفيد لك».

فقالت ساخرة: "أتظنين ذلك؟ كما قلت لك ثمة الكثير مما لا تعرفينه".

تأملتها كارين غير واثقة: «ماذا تحاولين أن تخبريني؟».

بدا التردد على المرأة لحظة، ثم رفعت كتفيها: «هل صدقت أن لويس خرج من أجل أعماله اليوم؟ أنت مخطئة، فهو يزور ابنه».

لم تعرف كارين كم لبثت جالسة في مكانها. كان ذهنها مضطرباً للغاية. وهمست أخيراً: «أنت تكذبين».

- ولماذا أكذب في أمر كهذا؟ أتظنينني أفخر بأن لي حفيداً غير شرعي، كما سأفخر بحفيدي المختلط الدم منك؟

تنحنحت كارين أكثر من مرة قبل أن تسأل: «لماذا... لماذا لم يتزوج الأم؟».

- إنها ليست من طبقتنا. لا أريد أن أتحدث في الموضوع أكثر. لقد أدى واجبه تجاه الطفل، وهذا كل ما أنت بحاجة لأن تعرفيه.

تساءلت كارين عما فعله للأم. وشعرت بجرح في كرامتها، فنهضت واقفة من دون أن يدهشها ارتجاف أطرافها.

- أنا ذاهبة لأرتاح.

التعبير الذي بدا على وجه كريستينا قد يكون خجلاً، رغم أن كارين شككت في ذلك.

وقالت المرأة: «إذا كنت حكيمة، فلا تطلعي لويس على حديثنا».

لو أنها حكيمة، لما كانت في هذا الوضع أصلاً. كان بإمكان كارين أن تجيبها بهذا، لكنها لم تفعل لأن الكلمات لم تشأ أن تخرج من حلقها.

كانت غرفة النوم باردة منعشة معتمة، فقد أسدلت الستائر كي تمنع دخول أشعة الشمس. استلقت على سريرها بثيابها الكاملة، وأخذت تحدق في السقف.

تحركت يدها لتمر على بطنها. ليس طفل لويس الأول، هذا الشرف حظي به طفل غير شرعي، رغم أن الذنب في ذلك ليس ذنبه. القانون الإنكليزي لا يفرّق بينه وبين أي طفل شرعي. لكنها ليست في إنكلترا.

قالت كريستينا عن الأم إنها ليست من طبقتهم. لكن لا بد أنها جميلة، ولعلهما الآن في فراش واحد.

وصل ألمها إلى الأعماق. ماذا عليها أن تفعل؟ لا تريد التفكير في الأمر، فهو أكثر مما تستطيع معالجته الآن.

وأخيراً استسلمت للنوم، لكنها ما لبثت أن استيقظت مجفلة عندما دخل لويس إلى الغرفة.

سألها باهتمام: «هل تشعرين بتوعك؟».

حاولت أن تتمالك نفسها عندما تدفقت الذكريات: «إنني تعبة فقط. كم الساعة؟».

- الخامسة إلا عشر دقائق. آسف لتأخري كل هذا الوقت.

الوقت مناسب لقذفه بالاتهامات، لكن الكلمات لم تطعها. وبدلاً من ذلك سألته: «هل كان لديك الكثير من العمل؟».

- نعم. أخبرت أمي أننا سنغادر غداً صباحاً.

- هذا حسن. هل تمانع إذا عدت للنوم؟

لم تستطع أن تنهض، فتقدم من السرير وجلس على حافته ثم قال: «تبدين شاحبة. هل أنت واثقة من أن ما من خطب ما؟».

إنها فرصة أخرى للكلام، لكنها لم تستطع أن تتكلم. قوّت نفسها عندما أخذ يلامس وجنتها بلطف. ولكن، وحتى بعد أن عرفت عنه ما عرفت، لم يتأثر تجاوبها معه إلا قليلاً.

قالت محاولة أن تبدو هادئة: «قلت لك إنني متعبة وحسب».

تأملها لحظة، وبدا واضحاً أنه لم يُخدع.

وعاد يربّت على وجنتها ثم وقف: «ارتاحي. سآخذ ملابسي إلى الغرفة الأخرى كيلا أزعجك».

راقبته من بين أجفانها وهو يحمل أغراضه ويخرج، لتتنهد طويلاً بعد ذلك. كان عليها أن تواجهه بما عرفت، لكنها لم تفعل إذ لم تشأ أن تسمعه يعترف بذلك. لم تشأ أن ترى الشعور بالذنب في عينيه.

كان عليه أن يطلب من أمه أن تحتفظ بالسر. لكن من غير المحتمل أن تعترف كريستينا بخيانتها لثقته، فلماذا تزلزل حياتهم جميعاً؟ عليها أن تدع هذه الأمور جانباً، من أجل الحنين الذي ينمو في أحشائها، إذا لم يكن من أجل شيء آخر.

٩ - لن تتراجع

مرت رحلة العودة إلى غواڤادا بصمت بعد أن فشلت كافة محاولاته لفتح أيّ موضوع.

وأخيراً فرغ صبره: «هل الحمل متعب إلى حد أن الكلمات أصبحت عبئاً عليك؟ أتقبّل كما تقبّلت الليلة الماضية، فكرة أن الحامل تمرّ بأوقات تشعر فيها بتعب شديد. ولكن يمكنك بكل تأكيد أن تتحدّثي!».

فردت عليه بحدة وقد ضاقت عيناها: «أظن أنّ كلامك هذا لا يستوجب رداً».

- أشك حتى في أنك أصغيت إلى ما قلته، فقد كان مزاجك غريباً طيلة النهار.

- أنا امرأة، ونحن النساء نوع غريب من المخلوقات وعليكم أنتم الرجال أن تتعلموا كيف تعيشون معنا.

فأجاب: «ما عدا هذا الرجل. إذا كان لديك أي شكوى، فأحب أن أسمعها».

ارتجفت شفتاها بالتهمة، لكنها كبحتها: «أي شكوك؟ لقد أعطيتني كل ما تتمناه المرأة».

وأرغمت نفسها على أن ترسم ابتسامة على شفتيها: «آسفة لأني كثيرة التذمر».

الابتسامة التي أجابها بها كانت متحفظة قليلاً: «لقد سامحتك، ولكن لا تدعي هذا يحدث مراراً».

كبحت كارين جواباً لاذعاً، إذا نطقت به الآن، فستبوح بكل ما في قلبها. لكن ما فائدة ذلك في النهاية؟ يمكنها أن تطلب منه أن يبتعد عن تلك المرأة وطفلها، لكنه لن يوافق على عدم رؤية ابنه مرة أخرى.

وفيما آلمها أن تعلم أن الطفل الذي تحمله ليس طفله الأول، إلا أن هذا أسهل عليها من احتمال فكرة أنه لا يزال على علاقة بالمرأة الأخرى. لقد تحوّلت عنه الليلة الماضية لأنها لم تستطع أن تتخلص من هذه الصورة... هذه الصورة التي ما زالت تلاحقها.

كانت الشمس قد غربت حين وصلا إلى غواڤادا. حيتهما ريجينا بحماستها المعتادة، وهي تخبر كارين كم افتقدتها.

وعندما أصبحتا وحدهما سألتها: «كيف وجدتِ أمي؟».

فأجابت كارين بما أمكنها من البساطة: «أشك في أن نصبح يوماً صديقتين حميمتين».

فقالت ريجينا بأسف: «هذا ما كنت أخافه، فمنذ سنوات، اختارت للويس ما تظنه زوجة مثالية له. وكان هناك فتيات أخريات، لكن أي منهن لم تُعجب لويس. عليك ألاّ تتألمي من رفضها لك، فشعورها سيكون هو نفسه نحو أي فتاة أخرى يختارها بنفسه».

لكن كارين رأت أن ردّ فعلها لن يكون بهذه الحدّة لو اختار زوجة من وطنه. حالياً، لم يكن شعور والدته نحوها ذا أهمية، فلديها الكثير من الأمور التي تشغل بالها.

وإذ لم تستطع أن تطرد هذه الأمور من ذهنها، تسلّلت إلى الشرفة بعد العشاء تلتمس الهواء النقي. شعرت بهواء الليل منعشاً بارداً على جلدها، فجلست على الأريكة وأخذت تتأمل المناظر المغمورة بضوء القمر. لقد استحوذت غواڤادا على مشاعرها وعليها أن تعترف بذلك. ولولا ما عرفته الآن، لاعتبرتها موطناً لها.

لو أنها لا تحب لويس، لما تألمت لما عرفته إلى هذا الحد...

وهي واثقة من ذلك. والسؤال الآن، كيف يمكنها أن تتغلّب على هذا الألم؟

- كنت أتكلم مع كريستينا منذ قليل. أخبرتني أنك تعرفين بأمر الصبي.

جاءها صوت بياتريس من عند الباب وفيه نبرة غريبة.

لم تلتفت كارين إليها وهي تجيب: «نعم، أنا أعرف بأمر الصبي».

طال الصمت وتكهرب الجو، وأخيراً سألتها بياتريس بالنبرة الغريبة نفسها: «هل ستخبرين لويس أنك تعرفين؟».

جاهدت كارين لتبقي صوتها متزناً: «لا أرى سبباً لذلك».

- أنت متساهلة للغاية. متساهلة أكثر مني أنا في ظروف كهذه.

وبدت المرأة متعاطفة قليلاً. لكن كارين لم تثق بهذا التعاطف، بل أجابت بحدة: «نحن أناس مختلفون جداً. ركزي اهتمامك على زواجك، ودعيني أتصرف مع زواجي».

فأجابت المرأة بحدة، وقد عادت إلى طبيعتها: «زواجي في أمان من كافة النواحي، لكن زواجك يعتمد على مظهرك. لويس من الرجال الذين يهتمون جداً بمظهر المرأة. فإذا خسرت ذلك، تخسر اهتمامه بها».

لم تخبرها بما لم تكن تشك فيه. لو لم تكن بجمالها هذا، لما لفتت نظر لويس ذلك اليوم في المطعم في ريو دي جانيرو، وهذا دليل سوء للمستقبل.

توارت بياتريس في الداخل، تاركة كارين تتأمل ذلك المستقبل بكآبة متزايدة. وأعادها ألم يتجمع أسفل ظهرها إلى الحاضر، فغيّرت وضعيتها لكن الألم استمر، ووصل إلى بطنها ثم أخذ يزداد قوة ليتحوّل إلى ألم قابض.

وأدركت فجأة ما يحدث لها، فدار له رأسها. تمالكت نفسها، وكأن ما يحدث لها سيتوقف. لكنها علمت أنّ ما من فائدة فيذ الطبيعة

هي العليا.

هتف لويس وهو يظهر عند زاوية الشرفة: «أنت هنا إذن؟ بدأت...».

وسكت فجأة وقد استوعب وضعها وملامحها المنهكة: "ما الأمر"؟

فقالت من بين أسنانها: «الطفل، أنا أفقد الطفل».

بعدئذ، أخذت الأمور تحدث بشكل ضبابي غائم. حملها لويس إلى المنزل فيما استُدعيت سيارة إسعاف نقلتها إلى مستشفى قريب حيث حاولوا عبثاً أن ينقذوا الطفل. وكانت كارين تعاني بصمت، وإحساسها بالخسارة أعمق من الكلمات. كانت تعلم أن لويس بجانبها ولكنها لم تجد في ذلك أي تعزية.

وعندما استيقظت من المخدر وجدته جالساً إلى جانب السرير، والتوتر يبدو على ملامحه السمراء.

قالت بصوت جامد: «آسفة».

فأمسك بيدها يرفعها إلى شفتيه. لم ترَ في عينيه السوداوين كهرماناً يتألق وهو يقول: «إذا كان هناك من هو مذنب في ما حصل، فهو أنا لأنني أخذتك في رحلة لا ضرورة لها».

- هل قال الأطباء هذا؟

- لا. بل قالوا إن هذا يحدث أحياناً لسبب غير واضح.

وخطر لها أنّ هذا لم يحدث لعشيقته. كان عليه أن يتزوجها، من أجل طفله على الأقل. الصبي لديه الحق في حمل اسم أندراد أكثر من أي طفل آخر. وتابع: "أخبروني أيضاً أن ما من سبب يمنعك من الحمل مرة أخرى في المستقبل".

- لا شيء يمنعنا من المحاولة مرة أخرى إذن.

- ولكن ليس على الفور. أنت بحاجة إلى وقت للشفاء.

فقالت وهي تجلس في السرير: «سأنفذ كل ما تراه مناسباً. أريد

فقط أن أخرج من هنا».

جاء عيد الميلاد ومضى بهدوء. وكان قد مرّ على الإجهاض أسبوعين، فأصرت كارين على أن يتم الاحتفال برأس السنة بطريقة مناسبة.

فتحت أبواب غواثادا للجميع، فحفل شواء رأس السنة مشهور. بدأ الحفل في منتصف النهار وانتهى حين خرج آخر الساهرين. لم تستطع حتى العاصفة الصيفية أن تثبّط من عزيمة وحيوية المحتفلين الذين إما احتموا من المطر وإما بقوا واقفين تحته بكل بساطة.

بعد توقف المطر، أخذ لويس يوزّع اللحوم المشوية على الضيوف، متبادلاً معهم النكات. رغم أن إجهاضها حطّمه، إلا أنه أثبت أنه برج من القوة في الأسبوعين الماضيين. وجدت صعوبة في أن تقارن هذا الرجل كما كان يبدو لها، بالرجل الذي أصبحت تعرفه الآن.

قال صوت لا تعرفه: «السيد يقدم لنا طعاماً طيباً».

التفتت لترى الرجل الذي يتكلم فبهتت الابتسامة الجاهزة على شفتيها، وهي ترى العينين السوداوين الجريئتين. إنه أحد عمّال المزرعة، كما أدركت من ملابسه. كان شاباً حسن الشكل. أخذ يقيّمها هو أيضاً، بوقاحة واضحة.

أجابته بلغته: «نعم، إنه يفعل هذا، هل تعمل عنده؟».

- أنا لوسيو فيرنانديز. أنت أجمل مما قيل عنك. لويس رجل محظوظ.

وبما أن ما تعرفه من البرتغالية محدود وهو يتحدث بسرعة، بذلت كارين جهوداً كبيراً لكي تستطيع فهمه. كانت الكلمات نفسها غير ضارة وعادية، لكن النظرة التي رافقتها كانت بعيدة عن البراءة.

جاءت دونا فيريز لإنقاذها وجرّتها بعيداً قبل أن تتمكن من التفكير في جواب.

سألتها المرأة الأكبر سناً: «ماذا كان يقول لك؟».

- ما من شيء مهم.

أجابتها كارين بذلك، كارهة أن تحدث ضجة حول ما لم يتعدَ نظرة ماكرة. فقد ألفت أسوأ من ذلك في موطنها.

فقالت الدونا: «لويس لا يحب أن يتحدث ذلك الرجل إليك».

فقالت كارين بمرح: «إذن فلن نخبره. أتظنين أني أسيء التصرف إذا أخذت قيلولة؟».

- طبعاً لا. يجب ألاّ تتعبي. وسأخبر لويس بمكانك.

دخلت كارين إلى البيت بينما توجهت الدونا إلى مكان الشواء. وكادت كارين تصطدم ببياتريس. التي بدت عيناها ضيقتين وكأنها تتأمل. مهما كان ما يدور في ذهن المرأة، فإن كارين لم تعد تهتم. كل ما تريده حالياً هو أن تلقي رأسها على وسادة طرية وتنام.

استيقظت على قبلة خفيفة للغاية وابتسم لويس لذهولها.

سألته: «منذ متى وأنا نائمة».

- منذ أكثر من ساعتين. لقد خرج بعض ضيوفنا، ولكن يبدو أن البقية سيمضون بقية النهار هنا. هل تشعرين بما يكفي من القوة لتنضمّي إليهم؟ أم أطلب منهم أن يرحلوا؟

جلست وهي تقول: «لا تفعل. امنحني ربع ساعة لاستحم وأغير ملابسي، ثم أنزل إلى الطابق السفلي».

- هل أنت واثقة من قدرتك على ذلك؟

لم تكن تشعر بأنها قادرة على ذلك، لكنها لن تعترف له.

- واثقة تماماً.

أخذها بين ذراعيه وضمها إليه لحظة ثم قال يواسيها: «يمكن أن ننجب أطفالاً، ولكن لا داعي للعجلة. أما الآن، فسنرتاح قانعين ببعضنا البعض».

حتى يشعر بالشوق إلى المرأة التي أنجبت له صبياً، كما أخذت

تفكر...

وأخيراً، غادر آخر المحتفلين قرابة العاشرة، فقالت ريجينا:

- أحب أن أحتفل بعيد ميلادي في مقهى لاماس. الثامنة عشرة عمر استثنائي للغاية.

وكان مقهى لاماس هو أرقى مقاهي المدينة. فقال لويس: «هذا صحيح. سأقوم بالترتيبات اللازمة».

- وأريد سيارة خاصة بي.

فابتسم: «الوصول إلى سن الرشد والحصول على رخصة سوق ما هما إلا البداية. عندما تتعلمين القيادة، سأفكر في الموضوع».

- يمكنك أن تعلّمني كما علمت كارين.

وعندما لمحت كارين نظرة لويس الجافة لم تستطع إلا أن تبتسم وهي تسأل ريجينا: «متى عيد ميلادك بالضبط؟».

قالت ريجينا عابسة: "في الثالث عشر من حزيران. إنه رقم نحس للولادة".

فكرت كارين في أن هذا لا يمكن أن يكون نحساً نظراً لظروف حياة الفتاة المرفهة المترفة. وعندما ستتزوج، ستختار رجلاً غنياً لتعيش في المستوى نفسه.

تركت لويس يشارك أخاه فنجان قهوة، فتبعتها بياتريس لتقول لها: «رأيتك مع لوسيو فيرناندیز كما رآك آخرون. ومن حسن حظك أن لويس لم يرك».

فسألتها كارين: «لماذا؟ هل مستخدمو المزرعة يعتبرون من الطبقة الدنيا ولا يجوز الاختلاط بهم؟».

- نعم لا يجوز لزوجته المزاح معهم.

فتحت كارين فمها لتنكر هذا الادعاء، لكنها عادت فسكتت لعلمها أن بياتريس لن تهتم لنكرانها.

وتابعت سيرها.

عندما دخل لويس، لم تكن قد نامت بعد. كانت تعلم أنه صبر عليها إلى أقصى حد، وهذا ليس سهلاً بالنسبة إلى رجل مثله.

ومدت يديها إليه حين انسلّ في الفراش فتجاوب معها على الفور.

وعندما غلبه النوم، راحت تصغي إلى أنفاسه المنتظمة شاعرة بقوة عضلات ذراعيه حولها، وكادت تشعر بالأسى من أجل المرأة التي لا تعرف هذا إلا في مناسبات نادرة، ومن أجل الصبي الذي سينشأ يكاد لا يعرف أباه. ربما ليس لديها كل ما تتمناه، لكنها، ومع ذلك، لديها الكثير فهل تراها تبخل على هذين الشخصين بهذا القليل؟

ومرّت الأيام. وحلّ عيد ميلاد ريجينا وذهب. أعطتها كارين دروساً في القيادة لتتمكن من قيادة سيارتها الصغيرة الرياضية التي اشتراها لها لويس رغم كل ما سبق وقاله.

مضت الأيام متشابهة كما كانت عليه قبل تلك الرحلة إلى برازيليا. وكانت حياة جيدة من أغلب الأحيان. وكان من الممكن أن تعتاد على الوضع لولا وجود بياتريس التي لم تترك فرصة تمر من دون أن تعنفها بسبب ما عرفتاه.

أليس لديها كرامة فتبقى مع رجل يعيش حياتين؟ وهل تصدق حقاً أنه يكنّ لها أي مشاعر عميقة؟

لم تكن كارين تعتقد ذلك أيضاً، لكنها كانت تتألم وهي تسمع هذا من فم بياتريس. لعل المرأة على حق، عليها أن تتمسك بكرامتها أكثر. ما زال لديها بعض النقود مما ربحته في اليانصيب، وهذه النقود تكفيها للرحلة إلى إنكلترا. كل ما يلزمها هو الإرادة.

لو لم تكن سريعة التأثر وغير متزنة، لرأت كم أن هذه الفكرة جنونية، وأن الطريقة الصحيحة الوحيدة هي أن تكشف للجميع ما تعرفه بدلاً من أن تتركها تستمر في تسميم عقلها. عجل الأمور تلك الصورة التي رأتها للأم وابنها. كانت كارين تعلم أن المرأة جميلة جداً دون شك، لكنها كانت تتوقع امرأة وليس فتاة مراهقة لم تتجاوز

السادسة عشرة من العمر.

كيف يمكن للويس أن يعيش ناسياً كل هذا؟ وكيف يمكنها أن تستمر في العيش معه؟

وشعرت بخدر في جسمها. لقد خرج باكراً هذا الصباح من دون أن يوقظها. وخلا ذهنها من كل شيء سوى اللهفة إلى الابتعاد. تركت بياتريس وصعدت إلى غرفتها حيث ألقت بعض الأشياء في حقيبة ملابس. حملت بعض النقود التي وجدتها، نقود لم تكن كافية لتوصلها إلى حيث تريد. ووضعت جواز سفرها في حقيبة يدها. فضلاً عن البطاقة المصرفية التي كان لويس قد زوّدها بها، كي تستعملها في شراء تذكرة سفر إلى وطنها.

أما ماذا ستفعل عندما تصل إلى لندن، فهذا ما لم تفكر فيه.

كانت بياتريس قد اختفت، وريجينا خرجت لتزور صديقة لها. كما كان ريموندو خارج المنزل في مكان ما. أخذت السيارة وغادرت المنزل الذي كان بيتها في الأشهر الأخيرة. لقد انتهت من هذا الجزء من حياتها.

كانت الرحلة إلى سان باولو هي الأطول التي تجتازها وحدها. وعندما وصلت أخيراً إلى مطار كونغونهاس، وأدركت أنه مخصص فقط للرحلات المحلية، تملكها الإحباط. كان هذا يعني أن تستقل مجدداً السيارة التي تركتها في موقف السيارات، وتقودها إلى الطرف الآخر من المدينة حيث المطار الدولي.

كان بإمكانها أن تستقل الباص إلى مطار غوارلهاس، كما نصحها موظف الاستعلامات الذي تطوّع كي يسأل عن برنامج الرحلات إلى لندن، كانت الرحلات إلى لندن محجوزة للأسابيع الثلاثة القادمة. ونصحهاالموظف بان تستقل الطائرة المتوجهة إلى ريودي جانيرو حيث يمكنها أن تحجز في إحدى الرحلات المتوجهة الى لندن. وكانت لا تزال مستعدة للقيام بكل ما يلزم كي ترحل، فدفعت تكاليف الرحلتين

بواسطة بطاقة لويس المصرفية. ستكلفها الرحلة أكثر مما لو كانت مباشرة. ولكن لا بأس، بإمكان لويس أن يدفع.

طال انتظارها للطائرة التي ستوصلها إلى ريودي جانيرو. كانت ضجة التلامذة المتحمسين فيها لا تطاق وأغمضت كارين عينيها والطائرة ترتفع بهم، إذ بدأت تعود إلى عقلها نوعاً ما. لويس لن يدعها ترحل بهذه السهولة. إنها زوجته... ملكه. وأينما ذهبت سيعثر عليها، من دون شك. وأخيراً، قررت أن تدعه يفعل ما يشاء. عندما تصبح خارج البلاد لن يتمكّن من إرغامها على العودة. وإذا لم يرضَ بأن يطلقها، ستطلقه مهما استغرق ذلك من وقت.

تمتم الرجل الجالس بجانبها بشيء لم تفهمه ثم نهض ليسمح لرجل آخر بأن يجلس بجانبها. وافترضت وجود خلط في أرقام المقاعد.

قال القادم الجديد: "الحظ يبتسم لي".

فتحت عينيها وإذا بها تجفل لرؤية الرجل، لم تصدق أن لوسيو فيرناندیز على الطائرة نفسها هو أيضاً.

سألته بحيرة: «ماذا تفعل هنا؟».

فأشرق وجهه بابتسامة عريضة: «أنا مثلك، ذاهب إلى ريو دي جانيرو. لدي مال، مال كثير! يمكنني أن أمنحك وقتاً ممتعاً».

فقالت بالإنكليزية: «أنت تحلم».

إذا لم يفهم الكلمات، فقد فهم المعنى، إذ اختفت ابتسامته. لم تفهم جوابه لكنه لم يكن مهذباً بكل تأكيد. وحمدت الله عندما عاد إلى مكانه الأول.

حوّلت انتباهها إلى النافذة، متجنبة فضول الرجل الآخر الواضح. استبعدت أن يكون وجود فيرناندیز على الطائرة نفسها صدفة. لم يكن لديها فكرة عما يكسبه عمال مزرعة غواڤادا لكنها تشك في أن يسمح لهم أجرهم بقضاء إجازة في إحدى أغلى مدن العالم.

على أيّ حال هذا ليس من شأنها، كما أنّ لديها أمور أكثر أهمية تشغلها.

حتى الساعة، لم تفكر في ما عليها أن تفعله عندما تهبط في لندن. عليها أولاًأن تجد مكاناً تبيت فيه. وإذا ألغى لويس بطاقته المصرفية، وهذا لم تضعه في حسابها، فستقع في ورطة صعبة. كما لم تشأ أن تقف عند باب جولي ككلب متشرد.

ستكون أكثر تعقلاً لو عادت أدراجها، لتعالج الأمور من الأساس...

لكن لم يكن للمنطق أيّ دور منذ بداية علاقتها بلويس. لقد اتخذت قرارها الآن ولن تتراجع.

عندما هبطت بها الطائرة، حاولت ألاّ تصادف لوسيو فيرناندیز. كانت الباصات تتوجه إلى المطار الدولي، لكنها فضّلت أن تستقل سيارة أجرة كما نصحها موظف الاستعلامات.

رأت أناساً محتشدين في الخارج فتملكها الارتباك، وترددت على حافة الطريق. لا بد أن ذاك هو صف سيارات الأجرة عند الرصيف المقابل. هذا ما فكرت فيه وهي تلمح الضوء الأصفر من خلال الازدحام. إذا عبرت الآن بسرعة...

١٠ ـ الانتظار الصعب

نظرت كارين إلى ساعتها وهي تعيد الصورة إلى مكانها في الدرج حيث وجدتها.

كانت تشعر بخدر بالغ في جسمها.

المال الذي كان لوسيو فرناندیز يباهي به، حصل عليه من بياتريس من دون شك... لا بد أنها أرسلت الرجل خلفها لكي يؤكد القصة التي روتها للويس، والتي أعدّتها مسبقاً بعد أن اعتمدت على تأثير الصورة الفوتوغرافية فيها. وبما أنها سافرت إلى ريو دي جانيرو بشكل طارىء، فلا بد أن السفر إلى هذه الوجهة فكرته هو لكنها أضافت مصداقية إلى القصة.

لعل لويس مع خليلته حالياً. ولا بد أن الطفل في هذه الساعة في فراشه، تاركاً إياهما يعوّضان عما فاتهما منذ اجتماعهما الأخير. عاد بها هذا إلى نقطة البداية، لتواجه المشكلة التي حلّها ذهنها بمحوها كلياً. إنما عليها الآن أن تعالج المسألة بنفسها. أما كيف، فهذا ما لم تستطع أن تفكر فيه.

عندما خرجت من المكتب، لم تر أثراً لبياتريس. وبما أنها لم تشأ أن تواجه أحداً، توجهت إلى غرفتها.

منظر السرير الذي تقاسمته مع لويس طيلة الأسابيع الماضية، أثار مشاعرها. وعندما تذكرت كيف ذهبت إليه تلك الليلة، تملكها الغثيان. أن تصحو من الوهم مرة، هو أمر سيء بما يكفي، فكيف إذا ما عانت منه مرتين!

www.elromancia.com

كانت جالسة بجانب النافذة بملابسها كاملة عندما جاءت ريجينا لترى ما حدث لها. سألتها بقلق: «هل أنت مريضة؟».

- متوعكة قليلاً، هذا كل ما في الأمر.

- أتظنين أنك حامل مرة أخرى؟

- لا!

ردت عليها بحدة سرعان ما ندمت عليها حين رأت تغيّر ملامح الفتاة، وقالت بلهجة أرق: «أشك في ذلك. آسفة لحدتي هذه. لدي صداع قوي، هل لك أن تحضري لي حبتين من الأسبرين؟».

هرعت ريجينا إلى الحمام بحماسة أخجلت كارين، ثم عادت بحبتين وكأس ماء، وهي تقول: «إذا كنت تريدين شيئاً آخر فما عليك إلاّ أن تطلبي».

فقالت كارين باسمة: «أعلم هذا، شكراً».

كان صداعها قوياً إلى حد أن الشك تملكها في أن يؤثر الأسبرين فيه. وعندما انفردت بنفسها، حاولت أن تتخذ قراراً بخصوص ما ستفعله، لكن نفسيتها كانت متعبة للغاية. قال لويس إنه سيغيب يومين أو ثلاثة، لذا لا يزال الوقت متاحاً أمامها للتفكير.

أمضت ليلة لم تذق فيها طعم النوم. فاستيقظت مكتئبة منتفخة الجفنين. نزلت إلى غرفة الفطور من دون شهية، لكن لتريح بال ريجينا.

كان الآخرون قد سبقوها إلى المائدة، حيث بدت بياتريس هادئة على غير عادة. لعلها أدركت الخطر الذي عرّضت نفسها له حين سمحت لحقدها بأن يسيطر الليلة الماضية، سيكون لويس عديم الرحمة حين يعلم أنها كذبت عليه بالنسبة إلى لوسيو فرناندیز.

هذا إذا صدّق كلامها، فهي لا تملك دليلاً على أن بياتريس لفقت المسألة كلها.

وعندما انفردت بالمرأة الأخرى قالت لها: «أنت شريرة وحمقاء

أيضاً. أتعلمين هذا؟ لو تركت الأمور على حالها، لما اكتشفت قط ما استطعت أن تفعليه!».

فأجابت بياتريس من دون ندم: «أعترف بأن تلك كانت غلطة، رغم أن استعادتك لذاكرتك لن تغير شيئاً كثيراً. في الواقع، عندما تفكرين في الأمر، وجود لوسيو على الطائرة نفسها ما زال كافياً لإدانتك».

فردت عليها كارين بحدة: «لا، إذا استطعت أن أثبت أنك دفعت له نقوداً لكي يتبعني».

فسألتها بياتريس: «وكيف ستثبتين ذلك؟».

- لقد أرسل لويس من يبحث عنه. وسيحصل على الحقيقة!

سكتت بياتريس لحظة... لحظة واحدة فقط، ثم قالت: «أولاً، عليه أن يعثر عليه. ما عليك أن تهتمي به هو السر الذي أخفاه عنك طيلة الأشهر الماضية. ما هو شعورك وأنت تعلمين أنه مع مرغريتا وموريس في هذه اللحظة؟».

وخطر لكارين أن شعورها هو أشبه بسكين اخترقت صدرها! أجابت: «سأعالج هذا الأمر عندما أشاء وبطريقتي الخاصة. لكني سأدعه هو يعالج الأمر معك».

- إذا أخبرت لويس أنك استعدت ذاكرتك فهل سينفعك هذا في شيء؟

في الواقع، عليها أن تعترف بأن هذا لن ينفعها بشيء. فكلمتها ضد كلمة بياتريس بشأن وجوده لوسيو فرناندیز على الطائرة نفسها وحتى إن قالت إن الأمر مصادفة فستبقى كلمتها هي الأضعف، وسيبقى عليها دوماً أن تواجه خداعه لها.

أحست بياتريس بترددها فعادت تقنعها: «لماذا لا تتركين الأمور على حالها؟ أتظنين أن لويس سيتخلى عن مرغريتا وابنه من أجلك؟ أنت من يحمل اسمه، وهذا هو المهم».

أجابتها بحدة: «ربما في نظرك».

- بل في نظر أي امرأة. وقد نصبح أنا وأنت صديقتين مع مرور الزمن. فكري في هذا.

وتركتها قبل أن تسمع جوابها وهو أنها تفضل أن تضع ثقتها في أفعى سامة.

مرّ النهار طويلاً مملاً. وكانت ريجينا قلقة لا تهدأ، تنتظر اتصالاً من ميران. وراح يأسها يزداد مع مرور الساعات، وبما أن كارين لديها فكرة واضحة عن الوضع، فقد ضعفت رغبتها في الوفاء بوعدها لهذا الشاب.

لم تخبر أحداً أنها ستخرج بعد الغداء. وكان ميران ينتظرها عند زاوية الساحة المركزية في لاسانتا، فصعد إلى السيارة بسرعة فيما تابعت السير من دون توقف تقريباً.

قال: «شكراً لقدومك. يقلقني احتمال أن تفسّر ريجينا اهتمامي بها بشكل يخالف ما في نيّتي».

- وما الذي جعلك تظن ذلك؟

- ما قالته عند تناولنا الغداء معاً في الأمس. تكلمت عنك وعن لويس. وكيف أدركتما على الفور أنكما تودّان قضاء العمر معاً. قالت إن لويس لن يرفض ويغضب إذا علم أن شعورنا مماثل. لكنني لم أمنحها سبباً يجعلها تعتقد ذلك».

وبسط يديه بحيرة وهو يقول جملته الأخيرة.

قالت كارين وهي تضع مشاكلها جانباً، شاعرة بالأسى حيال ريجينا أحلامها: "لقد أوليتها مزيداً من الاهتمام، ذلك اليوم".

فقال متذمراً: «لقد عاملتها كما أعامل أي فتاة جميلة أخرى. اكتفيت بالتعبير عن إعجابي بجمالها. أتظنينها تحدثت إلى لويس؟».

بدا القلق في صوته، فنظرت كارين إليه باشمئزاز، وقالت: «لويس في برازيليا الآن ولا يعرف شيئاً عن الموضوع. أرى أن تكون أكثر

حذراً في ما تقوله وكيف تقوله في المستقبل. كما أظن أنه كان عليك أن تتحلى بالتهذيب بحيث توضح لها مشاعرك عندما تقابلتما في الأمس، بدلاً من أن تجعل ريجينا تتصور أنك تبادلها عواطفها».

بدا الاستغراب على ملامحه الوسيمة: «هل تريدينني أسبب لها الحرج"؟

- لو حاولت حقاً، لوجدت طريقة للتخلي عنها بلطف، بدلاً من الاعتماد على شخص آخر لإصلاح الوضع. أليس كذلك؟

فقال من دون خجل: «من الأفضل أن تسمع ذلك من شخص مقرّب منها لكي يواسيها».

لوت شفتيها باحتقار: «أتعني أنّ هذا أفضل بالنسبة إليك؟ أرى أنه من الأفضل أن ترحل إلى سان باولو اليوم. أنا واثقة من أنك ستجد عذراً مناسباً».

- ربما هذا صحيح.

وأخذ يتأملها لحظة، ليقول ما تعودت سماعه: «أنت جميلة جداً».

فقالت وكأنها لم تسمع: «سأعيدك إلى الساحة».

سرّها أنها أسكتته. ستتألم ريجينا إذا لم يتصل بها مرة أخرى، لكنها ستنسى ذلك. كما كانت لتنسى لويس لو أنّ لديها عقلاً يجعلها تعود إلى وطنها. كانت الساعة تقارب الخامسة عندما وصلت إلى البيت. وعندما دخلت إلى الردهة ورأت لويس يصعد السلم، أخرستها الصدمة. وسألها بجفاء: «تبدين وكأنك رأيت شبحاً».

- لم أتوقع رؤيتك قبل يومين.

- أنهيت عملي بسرعة لم أكن أتوقعها. جئت منذ ساعة. أين كنت؟

طرح سؤاله الأخير باهتمام لا يدعو إلى الارتياح، فأجابت: "أقوم بجولة في السيارة. لو علمت بقدومك، كنت طبعاً"...

www.elromancia.com

فأكمل كلامها: «في انتظاري للترحيب بي».

ورفع حاجبيه وهو يراها ما تزال واقفة ثم أردف: «ألا أحصل على هذا الترحيب الآن؟».

تقدمت منه كارهة، وتصلبت حين قبّلها. فتورها جعله ينظر إليها متفحصاً: «أظن أنّ علينا نناقش بعض الأمور».

- ما هي؟

لوى شفتيه: «هي أنني لم أكن عادلاً معك بالنسبة إلى ميران ڤيلوتا. رأيتك تراقبينه أثناء العشاء، وعندما أخذت تدافعين عنه لاحقاً لاحقاً، اعتقدت أنك انجذبت إليه».

وعاد يضمها إليه: «لا أحتمل أن أراك تنجذبين إلى أي رجل آخر».

ولكن لا بأس إذا ما رغب هو بامرأة أخرى... وحتى أكثر من واحدة! عليها أن تفعل ما كان عليها أن تفعله منذ أسابيع، فتكشف نفاقه.

لكنها لم تفعل لأنها لم تستطع. فرغم كل ما عرفه، ما زال يملك السيطرة نفسها عليها. قربه منها وحده جعلها تضعف. وإذا تغلبت المشاعر على العقل، توقف كل جدل.

فقالت: «ميران ڤيلوتا لا يهمني».

- أعلم هذا الآن. عليّ أن أتعلم كيف أتحكم في غريزة التملك لديّ.

وعاد يتابع بابتسامة مثيرة: «فاتني الكثير وعليّ أن أعوض عنه».

وتركها. إنه يتوقع أن يعوّض ما فاته الليلة طبعاً، ما يمنحها حوالي ست ساعات لتتخذ قرارها النهائي. إما أن تواجهه بالحقيقة، وإما أن تفعل ما اقترحته عليها بياتريس، فترضى بالأمر الواقع.

مضى المساء مملاً. كانت ريجينا هادئة بشكل غير عادي، فسألها لويس عما إذا كانت متوعكة. ولم يقتنع حين أنكرت ذلك لكنه لم

يصرّ عليها.

في البداية، كانت بياتريس متوترة قليلاً، لكنها عادت فاسترخت مع مرور الوقت. وكان الازدراء يظهر في عينيها كلما نظرت نحو كارين.

انفردت ريجينا بكارين في أول فرصة، وقالت لها والكآبة تعلو وجهها الجميل: «لم يتصل ميران بعد. أترين أن عليّ أن أتصل به؟».

ترددت كارين، غير واثقة من قدرتها على معالجة مشاكل أخرى غير مشاكلها حالياً. وأخيراً أجابت: «أرى أنه من الأفضل أن تنتظري وتري».

ازداد وجه ريجينا كآبة: «أتظنين أنني كنت عجولة، وأنني فسرّت اهتمامه بي بشكل خاطئ».

رأت كارين أن القسوة أفضل من اللين أحياناً، فقالت: «هذا ممكن. نعم، إن رجلاً مثل ميران ليس من النوع الذي يمكن الوثوق به».

فانفجرت الفتاة تقول: «لكنه عاملني بشكل رائع. وإذا لم يكن يشعر بشيء نحوي، فلماذا سمح لي بأن أعتقد ذلك؟».

- أنا واثقة من أنه كان يشعر بشيء ما نحوك.

فقالت وعيناها مغرورقتان بالدموع: «لكن ليس بما يكفي. لماذا لم يمنعني من خداع نفسي؟».

- ربما لم يشأ أن يؤلمك.

فقالت وهي تمسح عينيها بيدها: «الألم الآن ليس أقل حدّة. لن أثق بأي رجل بعد الآن».

فقالت كارين تواسيها بكلمات تمنّت لو تقتنع هي بها: «الرجال ليسوا متماثلين. ما زال أمامك وقت طويل لتجدي الشخص المناسب».

كانت تظن أنّ لويس مستغرق في الحديث مع أخيه، لكن عندما رفعت بصرها وجدت نظراته مركزة عليهما، بشكل مريك. إنه بالطبع يريد أن يعرف ما الذي يكدّر ريجينا، لكن أخته ستزداد خزياً إذا ما عرف بالأمر.

ولفتت ريجينا الأنظار أكثر حين لم تتناول سوى القليل من الطعام على العشاء، وحين تحججت بالتعب لتعود إلى غرفتها. فكرت كارين في أن تلحق بها لتواسيها، لكنها عادت فرأت أنه ربما من الأفضل أن تُترك وحدها حالياً.

كما أنه ما زال عليها أن تواجه مشكلتها الخاصة، ومع مرور الوقت، راحت حيرتها تزداد وتملكها الجزع عندما أعلن لويس أن الوقت حان للذهاب إلى النوم.

سألها وهما يرتقيان السلم: «لماذا كانت ريجينا تبكي؟».

- إنه أمر خاص بين امرأة وامرأة.

فنظر إليها بدهاء: «ألا يتعلق الأمر بميران ڤيلوتا؟».

أجابت: «ظننت أنني من يفترض بها أن تكون راغبة فيه».

- إنها غلطة سبق واعتذرت عنها، ولا أحتاج إلى من يذكرني بها. هل لهذا الغم أيّ سبب جسدي؟

وفكرت كارين باستسلام، بألاّ فائدة من الإنكار، فقالت: «كلا، بالطبع. ريجينا لا تسمح لنفسها بأن تصل إلى ذلك الحد».

- هذا ممكن أن يحدث.

كانا قد وصلا إلى باب غرفتهما ففتحه لتتقدمه، وهو يتابع: «ظننتها أصبحت تحسّن الاختيار نوعاً ما».

كان يشير إلى قصة أخته وجورج أرويو، لكنها امتنعت عن التعليق.

سألها وهو يخلع قميصه: «هل تحبين استعمال الحمام أولاً؟».

تمسكت بهذه الفرصة التي تطيل وقت التفكير في قرارها، عالمة

أنها تؤجل وحسب ما لا مناص به.

كانت تستحم دوماً قبل الذهاب إلى السرير. لكنها لم تجد لديها الليلة، أيّ قدرة على ذلك. كان عقلها يعمل من دون كلل. لا تستطيع أن تطلب من لويس التخلي عن ابنه، ولكن بإمكانها أن تطلب منه قطع علاقته بالأم.

وإذ تذكرت الفتاة في الصورة، لم تشعر بأي طمأنينة. لويس يعشق جمال المرأة، ومظهر مرغريتا لا عيب فيه.

كانت لا تزال تستحم عندما طرق لويس باب الحمام وقال: "لقد تأخرت فهل أنت بخير؟».

وعندما خرجت، أخذها بين ذراعيه وهو يقول: «أنت تشغلين كل أفكاري... وحتى أحلامي... لا تماثلك في ذلك أيّ امرأة!».

لولا جملته الأخيرة لاستسلمت له بدون مقاومة. لكنها تصلّبت بين يديه، مقاومة رغبتها في لتخلص منه بكلمات قاسية.

- ألا يخطر في بالك أبداً أنني قد لا أكون في مزاج مناسب لهذا؟ أم من المسلّم به أن على الزوجات أن يكنّ دوماً جاهزات؟

مضت لحظة من دون أيّ رد فعل منه. ثم تحرك فجأة ليبتعد عنها وكأنما تعرّض لسعة. شعرت هي بوهن في ساقيها، وأخذ جسدها يرتجف. لقد صدمته لكنها لم تشعر بأي شماتة. وعندما جلست على حافة السرير، نظر إليها ساخراً وقال: "ليس لك أن تخافي فأنا لا أنوي أن أرغمك على أداء واجبك".

- لم يخطر في بالي أنك ستفعل. يحق لي أن أرفض أحياناً.

فقال وقد توترت العضلات حول فمه: «يحق لك أن ترفضي في أي وقت تشائين. هناك طرق للقيام بذلك وهي...».

فقاطعته بلهجة لاذعة: «لا تمسّ كبرياءك؟ لماذا على كبريائك أن تكون أهم من كبريائي؟».

وضاقت عيناه: «أظن أنّ الأمر أكثر من مجرد عدم رغبة. ثمة ما

حدث لك أثناء غيابي».

إذا كان وقت للتصارح، فهو الآن. لكن الكلمات لم تتشكّل في ذهنها. وسمعت نفسها تقول: «لعلي عدت أخيراً إلى عقلي. لعلي أدركت أن زواجي منك لم يكن فراشاً من الورود».

فقال بهدوء وعيناه تلمعان: «لم أسمع تذمراً قبل الآن بل على العكس».

- كان هذا في الماضي، أما الآن، فأريد الوصول إلى حل!

ولم تستطع أن تكبح رغبتها في أن تؤلمه.

وقف لويس بسرعة وتقدم منها ليمسك بها. كان عناقه محرقاً... وذراعاه حولها كالحديد. وعندما تركها أخذت تترنح. قال وهو يصرف بأسنانه: «لا تفكّري في الطلاق».

- حتى لو كانت قصة لوسيو فرناندیز صحيحة؟

استحال لمعان عينيه لهباً سرعان ما أخمده بقوة إرادته، وقال: «حتى لو كانت كذلك. لقد وقّعت على اتفاق، والهرب ليس بنداً فيها».

وابتعد عنها متوجهاً إلى الباب الموصل بين الغرفتين فيما راقبته منتظرة. لا عودة لها من هذا المكان. لقد اتخذت قرارها، عليها أن تعتاد العيش مع هذا الواقع.

* * *

في الصباح، بدا أن ريجينا استعادت الكثير من حيويتها. إنها مرونة الشباب، كما خطر لكارين التي شعرت أنها ليست على ما يرام.

لم يشاركهم لويس الفطور فقد خرج باكراً، على حدّ قول بياتريس. شكّت المرأة في ما يجري، لكنها لم تعلّق. وتلهفت كارين إلى إزالة تعبير الارتياح عن ذلك الوجه، لكن الوقت كان قد فات.

خرجت بعد الطعام إلى الشرفة فتبعها ريموندو الذي جلس وهو ينظر إليها بقلق: «هل حدث بينكما أنت ولويس أي جدال؟».

طرح سؤاله برقة كانت لتجدها مسلّية في الظروف الطبيعية.

فابتسمت: «شيء كهذا... سرعان ما يطويه النسيان».

لم يقتنع: «لويس يتصرف بتصلّب أحياناً، أنا أعرفه».

فتحت فمها لتتعاطف معه، لكنها أقفلته مرة أخرى وهي تدرك أن ما أخبرها به عن زواجه كان قبل أن تفقد ذاكرتها. كان صعباً أن تتذكر بالضبط ما حدث، وغلطة واحدة يمكن أن تكشفها.

وهتف بها جزء من عقلها: وماذا في ذلك؟ لا يمكن للأمور أن تصبح أسوأ مما هي عليه الآن. فهذا على الأقل، سيساعد في شرح ما حصل الليلة الماضية.

وسألها عقلها لما تزعج نفسها؟ فحتى لو توصلا إلى اتفاق بشأن مرغريتا وابنها، لن يغفر لها لويس أبداً ما قالتها له.

وقالت بشيء من الدعابة: «أظنني أنا نفسي متصلبة أحياناً. إذا أراد لويس زوجة من دون حيوية، لاختار واحدة بتلك الصفة».

فأجاب ريموندو: «إنه يحبك كما أنت. أتمنى فقط...».

وسكت فجأة وبان عليه عدم الارتياح: «علي أن أذهب. أنا واثق من أنكما سرعان ما تتصالحا».

لم يعد لويس عند موعد الغداء. أخذت كارين الجروين في نزهة ثم عادت بذريعة أخذ قيلولة، رغم أن النوم كان آخر ما تريده.

حاولت أن تركز اهتمامها على قراءة كتاب، لكنها لم تفهم معنى الكلمات. وتوقفت أخيراً عن محاولاتها، وجلست تنتظر. لا بد أن يعود لويس في وقت ما.

وأخيراً عاد عند المساء مرتدياً ملابس العمل، وتوجه مباشرة إلى الغرفة حيث نظر إليها بوجه متصلّب: «إذن فأنت لا تهتمين بڤيلوتا؟ لا تحاولي الإنكار فقد رأوك معه في لاسانتا».

كانت الأمور التي حدثت قد أنستها فيلوتا. فقالت باستسلام: «ما كنت أنوي إنكار ذلك. كنا معاً مدة ربع ساعة فقط».

لوى شفتيه: «هذا يكفي».

- ليس بالنسبة لما تظنه.

ووقفت وهي ترتجف لكن من دون خوف: «كنت أرجو ألاّ أضطر إلى إخبارك، لكن يبدو أن ما من خيار آخر أمامي. طلب مني ميران أن أقابله لنتحدث عن ريجينا. كان خائفاً من أن تفسّر اهتمامه بها بشكل جاد أكثر من اللازم، ولم يعرف ما يفعله بهذا الشأن».

بدا الغضب في عينيه: «إياك أن تجرؤي على إقحام اسم ريجينا في هذا!».

- لكنه صحيح، وهذا هو سبب تعاستها الليلة الماضية. فميران لم يتصل بها. ظننت أنه من الأفضل أن أدع الأمور تذوي تدريجياً. لا بدّ أن ميران قد عاد إلى سان باولو. ولهذا، من غير المحتمل أن تراه مرة أخرى.

نظر لويس إليها بارتياب: «أتتوقعين مني أن أصدق أنك فعلت هذا من أجل ريجينا فقط؟».

- كلا... ما دمت تعتقد أنني كنت على علاقة بلوسيو فرنانديز. فلماذا تصدق كلامي؟ لقد تحدّثت إلى أخيك هذا الصباح. لعلي كنت أخطط لإغوائه هو أيضاً.

- هذا يكفي!

- لا. لا يكفي! إذا أردت أن تعرف حقاً سبب وجود لوسيو على متن الطائرة، فاسأل زوجة أخيك! وإن كنت لا أتوقع أن تصدّق كلامي. لكن لو أزعجت نفسك بتفحص بطاقتك المصرفية لشهر حزيران، لرأيت أنني دفعت أجرة تذكرة واحدة إلى ريو دي جانيرو. تذكرة واحدة إلى لندن أيضاً. لقد رأيته على الطائرة حيث كان يتباهى بأن لديه مالاً كثيراً... لكنه لم يكن معي!

راح لويس ينظر إليها وقد تجلّت له الحقيقة: «هل استعدت ذاكرتك؟».

- كلياً! أظن أن عليّ أن أكون راضية لأنك تركت عشيقتك وابنك لتعود إليّ الليلة الماضية. لا سيّما وأنت لا تراهما كثيراً. من المؤسف...

وسكتت فجأة، مصدومة بالتعبير الذي بدا على وجهه وهو يسأل: «تركت من؟».

ردت بحدة: «لا فائدة من الإنكار. لقد رأيت الصورة في درج مكتبك. ابنك يشبهك تماماً».

فقال باتزان: «بل يشبه أخي موريس. لقد قتل منذ سنتين في حادث اصطدام، قبل أن يصحّح الخطأ الذي اقترفه. ومرغريتا ما زالت تلبس الحداد عليه ولا أظنها تعتبرني بديلاً عنه».

ابتلعت كارين غصة في حلقها، وتملكها الاضطراب ثم وقفت وهي تقول: «آسفة... لم أكن... أعلم».

فقال وهو يشير إلى الكرسي لتجلس: «هذا واضح. أظن أنه من الأفضل أن تجلسي قبل أن تقعي».

جلست، محاولة أن تفكر في ما يحدث: «لا أفهم. أمك وبياتريس... أخبرتاني أن الطفل طفلك».

- إنهما كاذبتان. تحمّلت مسؤولية مرغريتا وموريس كواجب. وأنا أزورهما أثناء وجودي في برازيليا من أجل العمل. أعطتني الأم الصورة دلالة على الاعتراف بالجميل.

تأمل وجهها المرتبك وقد لانت ملامحه قليلاً: «منذ متى استطعت أن تتذكري؟».

- منذ أمس فقط.

ونظرت إليه بتوسل: «ما قلته لك الليلة الماضية لم يكن صحيحاً. كانت الغيرة تقتلني. لم أستطع احتمال فكرة أن تشاركني فيك امرأة

أخرى».

فقال: «أعرف هذا الشعور».

- لم أكن على علاقة بلوسيو فرنانديز أو جورج أرويو أو أي شخص آخر.

- أصدقك، وأنت محقة. لو تفحصت البطاقة المصرفية لأثبت ذلك ما تقولينه. لكن هذا لا يغير سبب هربك.

- إنها بياتريس. لقد أرتني الصورة وأخبرتني أن لديك ولداً. ولم أحاول أن أتحقق من الأمر.

- كنت لا تزالي تعانين من صدمة فقدانك الجنين. ستدفع ثمن ذلك غالياً. هل تعتقدين أنها دفعت نقوداً للوسيو ليلحق بك؟

- في الواقع، لم تنكرالأمر حين واجهتها به أمس. قالت فقط إن إثبات ذلك صعب. وقد تركتها تقنعني بأن الشك سيبقى في ذهنك حتى لو أخبرتك أنني استعدت ذاكرتي. ليلة أمس، أردت أن أؤلمك. أردتك أن تشعر بما أشعر به. كبرياؤك...

- تباً لكبريائي! إنه قلبي الذي تمزق. لم أستطع أن أفكر في أن أحب امرأة سواك!

أوقفها مرة أخرى وضمّها إليه ودفن يديه في شعرها وعيناه تلتهبان.

- منذ اللحظة التي رأيتك فيها، تملكني الضياع، أردت أن أمضي حياتي معك، وأنشىء أسرة وأشيخ بجانبك. أعلم أنك لا تشعرين نحوي بمثل شعوري نحوك ولكن...

فقالت برقة: «ربما ليس في البداية، لكنني أبادلك شعورك الآن. لقد عرفت الجحيم طوال هذا النهار وأنا أفكر فيك».

ورفعت يديها إلى وجهه تلامس خطوطه بأناملها: «ما زال صعباً عليّ أن أصدق أن هذا كله انتهى...! التساؤلات والشكوك كلها. أنا أحبك كثيراً يا لويس. أتظن أن بإمكاننا أن نعود إلى ما كنا عليه الليلة

الماضية؟ لديّ الكثير لأعوّض عنه».

- الذنب لم يكن ذنبك قط. بياتريس مسؤولة عن معظم ما عانيناه، وأمي ملامة أيضاً.

وقبّلها بحنان: «سنعود إلى ما كنا عليه. لا تخافي أبداً. ولكن علينا أولاً أن نعالج أمر أخي وزوجته».

فقالت مدافعة: «ريموندو لا يعرف ما كانت تهدف إليه. إن هذا سيحطمه».

- سيعاني أكثر عندما يرحلان خلال ساعة واحدة. أعدك بذلك.

هتفت به وهو يتوجه إلى الباب: «لا يمكنك أن تلقي بأخيك خارجاً. إنه يعشق غواڤادا».

فالتفت إليها عابساً: «أتريدين أن أدع بياتريس تفلت من العقاب؟».

أجابت من دون تردد: «كلا. أنا أكرهها لما فعلت! ولكن دع ريموندو يبقى! سيكون سعيداً إذا تحرر منها. أنا أعرف أنه كان ضعيفاً... وهو يعرف ذلك أيضاً... لكن امنحه فرصة. ثمة أوقات يكون فيها الطلاق هو الطريق الوحيد للخلاص».

فأجاب بعد لحظة: «مرت أوقات كان فيها مثل هذا التوسل من أجل رجل آخر، حتى لو كان أخي كافياً لكي أتخلص منه. سأدعه يقرر بنفسه ما إذا كان يريد أن يبقى أو يذهب، إذا كان هذا يسرّك».

- ليس من أجلي فقط. أنت فقدت أخاً، ولا يمكنك أن تفقد الآخر. كما أن ريجينا بحاجة إليكما، أنتما الاثنين.

عاد إليها لويس وأخذها بين ذراعيه قبل أن يقول: «أنت المرأة كما يجب أن تكون. لا تبتعدي».

لم يكن في نيتها ذلك. ونظرت إليه وهو يخرج من الباب، شاعرة بالحب لكل إنش فيه. وكادت تشعر بالأسف حيال بياتريس، التي ستلقى الآن أكبر صدمة في حياتها.

أما ريموندو فسوف يعطى حق الاختيار، ولا بدّ أنه سيختار البقاء. وفي النهاية، سيتعرف إلى امرأة تناسبه.

كما سيصبح لديهما، هي ولويس أسرتهما. وستبدأ محاولات انشائها منذ لحظة عودته.

وكم بدا لها الانتظار صعباً!

الختام

قالت كارين متذمرة وهي تقيس خصرها: «خصري أعرض مما كان عليه عندما تزوجتك بثلاث إنشات».

أجاب ببساطة: «إنش احد لأجل كل طفل. لا بد من التضحية».

فقالت باحتجاج ساخر: «وبمَ تضحّي أنت بالضبط؟».

ضحك: «لقد تخليت عن حريتي من أجلك، وهي أكبر تضحية يمكن أن يقوم بها رجل! هل أنت قادمة إلى السرير؟ أم عليّ أن آتي وأحضرك؟».

لمعت عيناها الخضراوان: «سيكون عليك أن تمسك بي أولاً».

وصرخت عندما قفز كالبرق من السرير ليحملها ويضعها على كتفيه: «هذا نصر غير عادل. لم أكن مستعدة».

فقال وهو يلقي بها على السرير: «أنا مستعد».

ست سنوات مرت بسرعة. ولد إدموندو بعد تسعة أشهر بالضبط من رحيل بياتريس السريع، ثم ولدت جوانا بعده بسنة ونصف، وتلتهما ماريا تيريزا السنة الماضية. كان إدموندو يزداد شبهاً بأبيه كل يوم، فيما كانت البنتان تشبهانها هي.

رأت كارين أن حياتها لا يمكن أن تكون أفضل مما هي عليه الآن. وكانت تحمد الله على حظها هذا كل يوم. لو لم تربح ورقة اليانصيب تلك لما جاءت إلى البرازيل ولما عرفت لويس، ولما أنجبت أولادها الثلاثة. إنه (النصيب)!

لم يخبرها لويس قط ما دار بينه وبين زوجة أخيه عصر ذلك اليوم.

www.elromancia.com

لكنه جعلها ترحل، خلال ساعة تماماً كما وعدها. ولم ينجُ ريموندو من اللوم، لكن سُمح له بالبقاء في غواڤادا. وتم الطلاق في النهاية رغم أنه لم يجد زوجة أخرى بعد.

أما ريجينا فتزوجت منذ سنتين من رجل يعرفه لويس ويثق به، لكنها لم ترزق بأطفال حتى الآن. كما أن مرغريتا تزوجت هي أيضاً، ما يعني أن لويس لم يعد مسؤولاً عن ابن أخيه رغم أنه ما زال يزور الصبي عندما يذهب إلى برازيليا.

ورغم أن كريستينا أظهرت ندماً للضرر الذي أحدثته، إلا أن لويس لم يصفح عنها. وشكّت كارين في أن تتحسّن علاقتها بحماتها يوماً ما.

سألها لويس برقة بعثت ابتسامة إلى وجهها في الظلمة: «ألم تنامي بعد؟».

ردّت: «ربما عليك أن تغني لي لأنام».

فضحك: «لديّ علاج أفضل».

فقالت متذمرة: «وأنت تتهمني بالنهم؟».

. ولد آخر شيء جميل.

وفكرت وهي تستسلم له في أن ولداً آخر هو أمر جميل حقاً، ولا يهم النوع.

قالت: «ربما يمكنك أن ترتب أمر توأم هذه المرة. ذكر وأنثى. خمسة أولاد عدد جيد. من ناحية أخرى، يمكننا أن نفكر في فريق كرة قدم. البنات ضد الصبيان... فكر في الأمر...».

ضحك لويس. وقطع عليها كلماتها بقبلة أنستها كل ما كانت ستقوله.

وطبعاً، لم تهتم لذلك.